امـل

قام | المربي الكبير الاستاذ ساطع الحصري بزيارة العراق فلاقى حفاوة حارة في الاوساط الثقافية والقومية التي افتقدته منذ عشر سنوات وكان من مظاهر هذه الحفاوة الكريمة الحفلة التي اقامها على شرفه نادي البعث العربي في بغداد وقد القى فيها الاستاذ العلامة خطاباً استوقفنا وقتاً غير قليل واهاب بنا الى التنويه به في هذا العدد ، وفي هذا المكان ، لما فيه من امل وشحذ للعزائم في وقت ارتفعت فيه ولولة اليأس والقنوط وصيحات الحذر والشك تنتظم في اصطحاب عجيب ، فتؤلف لنا لحناً كاملاً عنوانه : الانهيار والتفسخ والجمود . . .

واعظم ما في خطاب الاستاذ الحصري انه وهو ذلك الشيخ الجليل الذي شهد مولد النهضة العربية الحديثة يرى ان النكبات قد تكون دليلاً على افلاس القادة لا على افلاس الامة ، ولهذا فهو يدعو الى تسليم دفة القيادة للشباب ، شأن الامم التي تريد تجديد حيويتها والنهوض من كبوتها والبحث عن مكامن القوة والنشاط فيها . وفيما يلي خطاب الاستاذ العلامة نورده بشيء من الايجاز :

***

بالنظر | لزيارتي القصيرة للعراق ، كنت قد قررت عدم الكلام في المجالس العامة . الا ان الكلمات التي سمعتها من رئيس النادي اضطرتني الى تغيير خطتي واني لا اريد البحث في كلمات المدح والاطراء ، ولكن اسمحوا لي ان اتكلم بعض الكلمات عن القومية .

ان هذا النادي يواصل عمل نادي المثنى في نشر القومية العربية . وقد لاحظنا ان بعض المفكرين في البلاد العربية يدعون ان فكرة القومية اصبحت من الامور البالية التي فات اوانها . وهي من مخلفات القرن التاسع عشر التي لا تستطيع الوقوف بوجه التيارات العالمية الحديثة . وهذا القول لا يوافق الحقيقة . فان مبدأ القومية أتم عمله في اوربا وقد ساعد على تأسيس الدول المتقدمة فيها . لكنه (أي مبدأ القومية) لا يزال في بداية عمله في البلاد العربية ، ونحن لا نزال في مبدأ عملنا فيما يتعلق بالقومية العربية .

ان النكبات التي توالت على الامة العربية جعلت بعض الناس يصيبهم اليأس ويقنطون . والحقيقة ان هذه النكبات لا يمكن ان تعتبر دليلاً على ان الامة العربية ليست قادرة على الحياة . وما من امة الا ومرت بها نكبات أعظم مما مر بالامة العربية . وان اعظم الامم وصلت في بعض ادوارها الى الانهيار الكامل . ومثلاً لذلك بروسيا التي سحقها نابليون في معركة (يينا) سنة ١٨٠٦ وبعد تلك المعركة بسنوات قليلة استطاعت بروسيا ان تلم شعث المانيا وتساهم مساهمة فعالة في قهر نابليون .

وكذلك فرنسا التي فقدت جيشها وفقدت الالزاس واللورين بعد معركة سيدان في الحرب السبعينية ، ولكنها لم تفقد املها . وفي مثل هذه الحالة حيث يعجز الشيوخ عن حل مشاكل بلادهم فانهم يعدون الشباب للتغلب على تلك المشاكل في المستقبل ، وهكذا ظلت فرنسا تفكر في استرداد الالزاس واللورين ولو بعد سنين كثيرة .

وقد قررت فرنسا عدم منح المارشالية لاي قائد فرنسي (عدا المارشال مكماهون) وقد قالوا في تبرير ذلك ان الشجرة التي تصنع منها عصا المارشالية تنبت فيما وراء نهر الرين . وقد كان الماريشال (فوش) الذي تغلب على الالمان في الحرب العالمية الاولى هو اول من حصل على الماريشالية .

فعلى الامم ألا تقنط الى ان تسترد مكانتها ، وعلى الامة العربية ان تستمد من النكبات قوة تحثها على الكفاح لتصبح جديرة بتاريخها

وهناك مسألة اخرى اريد التطرق اليها ، وهي ان فكرة القومية يجب ان تكون مقرونة على الدوام بفكرة التقدمية والتجديد والاصلاح . وقد توهم البعض ان فكرة التقدمية منافية للقومية وهذا غير صحيح . فان القومية الصحيحة يجب ان تكون تقدمية . والامة العربية في سعيها المتواصل لاستخلاص حقوقها يجب ان تكون تقدمية اصلاحية تجددية .

ساطع الحصري

لويس دو كاموانس شاعر البرتغال

بقلم قدري قلعجي

يسمي النقاد القرن السادس عشر، العهد الذهبي في تاريخ الادب البرتغالي، فقد انتج الشعر الغنائي والمسرحي خلاله آثاراً رائعة باقلام ميرندا وفيريرا وكامينها وبورتغال وروزاند ومونتمايور، وبلغ الشعر البطولي ذروة الالهام في قصائد لويس دو كاموانس، هذا الشاعر العظيم الذي يعد مفخرة الادب البرتغالي في جميع عصوره.

وولد كاموانس في لشبونه سنة ١٥٢٥ من اسرة نبيلة، وتخرج في جامعة كوامبر، وتجلت عبقريته الشعرية منذ حداثة سنه، وكانت آثاره الادبية تزخر بالحب والمجد والحرية والتفاني في سبيل الوطن، كآثار دانتي وبيترارك وتاس واريوست وكل اديب فذ. فالمشاعر العظيمة لا بد من ان تجاورها موهبة عظيمة، وقد كانت موهبة كاموانس على قدر حياته الحافلة بحوافز الالهام..

وكان الحب اول العواطف التي اوحت الى كاموانس، فقد احب صبية من سيدات البلاط تدعى كاترين داتيد ذات جمال خلاب، وكان هذا الحب مبعث شقاء كبير له، اذ اعتدي عليه غير مرة، ثم نفي الى سانتاريم ليكفر عن اثمه ويبعد عن حبه، فأشجاه الفراق وعذبته الوحدة، فأرسل الى عشيقته قصيدة طويلة قال في احد مقاطعها:

وداعاً ايها القصر الذهبي..
وداعاً ايتها البرية الخضراء
ايتها الاصداء التي تردد اسم نادرسي
والامكنة التي تجملها هذه الغادة الحسناء
ايتها الرموز السرية بين قلبين
عاشقين.. يا لغة عبقرية!
وداعاً ايها النعيم،
وداعاً ايها الجنون العذب..
ايتها الصداقة التي كانت تطهر غرامي،
والمحاسن الالهية التي كانت
مصدر العزاء في حياتي،
أقدر لي، واأسفاه، ان اهجرك الى الابد!

ولم تجب كاترين، فضاعف صمتها وحشته وأذكى عذابه، ولم يعد ليأنس برفيق او يسكن الى صديق، بل كان يهجر المدينة الى منسك قديم في واد ضيق ينبجس فيه ينبوع دافق من سفح احد الصخور، ليستسلم الى تأملاته الحزينة بين الزهور العابقة والاشجار الظليلة، وينظم آلام قلبه العميد.

الا انه لم يلبث ان ضاق بهذه الحياة السوداوية الكئيبة، فهرب من المنفى وانتظم جندياً في حملة برتغالية على مراكش، وفاته، في تلك السن الباكرة والخبرة القليلة والثقافة الرسمية التي تلقنها، ان الاستبسال في الحرب الاستعمارية ليس ضرباً من البطولة وانما هو العدوان الظالم والاجرام الغاشم، فأبدى الواناً من الشجاعة في حصار سوتة افقدته عينه اليمنى برصاصة. وعاد الى لشبونة بعد انتهاء القتال فلم يكافأ على خدمته ولم يعوض عن جرحه، ورأى ان كاترين داتيد قد نسيته ولم تعد لتأبه له. فساوره اليأس من الحياة والنقمة على بلاده فهجرها الى الهند الشرقية، وهتف، في غمرة غضبه هتاف سيبيون الروماني الذي قهر هانيبال وانتصر على قرطاجة، ثم تنكر له مواطنوه وافترى عليه خصومه، فهجر روما واوصى بان تنقش على قبره هذه الكلمات: «لن تضم عظامي ايها الوطن العاق!».

غير ان الحنين ما لبث ان غمر قلب كاموانس، فكان وطنه دائماً مصدر اعتزازه ومبعث وحيه.. كان قد اولع بمغامرات مواطنه فاسكو دوغاما وغيره من الرحالة ورواد البحر، فأراد ان يشهد بنفسه تلك الآفاق المجهولة، فبهد الى رأس الرجاء الصالح، وشق بين العواصف طريقاً الى جاوة، وهناك على تلك الشواطئ العذراء التي كانت مسرحاً لامجاد مواطنيه، اخذ يفكر في ملحمته البطولية الخالدة «اللوزيادة».

وكان نائب الملك في هذه المستعمرة البرتغالية، يسوس الناس سياسة انتقدها عليها كاموانس انتقاداً جريئاً وهجاه بالقصائد الجارحة، فاعتقله ونفاه الى ماكاو، فكان عزاؤه الوحيد في المنفى التنديد بهذا الجبار المستبد، ومن القصائد الكثيرة التي قالها فيه او وجهها اليه قصيدة قال فيها ان الطاغية يعتقد بان في نفي الشاعر اهانة له، فليته يعلم ان العكس هو الصحيح.. وليت قصة نفيه تنقش على الحجر وتحفر على النحاس وتذيع بين الناس جميعاً، فذلك اعظم ثأر له.

وفي ماكاو، تحت سماء الشرق، وفي ظل الوحدة والتأمل، وضع المنفي ملحمته «لوزياد» التي استعار اسمها من اسم بلاده حين كانت تدعى في العهود القديمة «لوزيتانيا»، وقد تحدث فيها عن بطولات

مواطنيه واكتشافاتهم في الهند الشرقية وفي مقدمتهم الرحالة فاسكو دوغاما ، وافرغ فيها من خياله المجنح وشعوره المتقد ووطنيته العارمة ما جعل منها رائعة من روائع الادب العالمي في القرن السادس عشر .

لقد جمع كاموانس في هـذه الملحمة ببراعة فائقة بين التاريخ البرتغالي والمبادىء المسيحية ، وبين الشعر والاسطورة ، فكانت اثراً رائعاً من آثار العبقرية المحيطة الملهمة عرض كل مجيد ونبيل في تاريخ البرتغال ، وجسد العاطفة الوطنية في كتاب خالد .

وكما اسبغ فينيلون على ابطاله الوثنيين مبادىء الاخلاق المسيحية ، ادخل صاحب « اللوزيادة » الاساطير الوثنيـة في تاريخ ابطاله المسيحيين ، وجعل مواطنيه يتحدرون من مارس وفينوس ، ويثيرون حسد باخوس على ما احرزوه من امجاد وما قاموا به من مغامرات وبطولات . . وبلغ قمة الفن حين صور ادماستور شيطـان العواصف ، وهو يحاول في غمرة الامواج ، وبين عناصر الطبيعة الثائرة ، منع فاسكو دوغاما من اجتيـاز رأس الرجاء الصالح ، وقد وقف الشيطان بقامته الجبارة ولونه الاسود كلون الصخور التي تتلاطم الامواج عليها ، يخيف الرائد بمشهد الزوابع الهائجة والصواعق المنقضة ، والرائد المقدام ماض في طريقه عبر البحر المجنون ، غير هياب ولا متردد ، واذا بالمارد الحاقد يصرخ في غضبه العاجز فتعلو صرخته على هزيم الرعود وعويل الرياح والامواج ، ثم يتداعى على نفسه ويختفي في غور البحر لتقوم مكانه هذه الهضبة الصخرية السوداء التي لا تزال باقية حتى يومنا هذا والتي كثيراً ما تحطمت عليها السفن وهي تجتاز تلك المنطقة من اليم

وسمح للشاعر المنفي بأن يرافق بعثة بحرية ذاهبة الى البحر الأحمر ، ومـا كاد يعود الى ماكاو حتى كان نائب الملك في جاوة قد حل محله نائب جديد هو قسطنطين دوبرانياس فاستدعاه هـذا اليه ، ولكن المركب الذي يحمله تحطم على شواطىء كوشنشين في مصب نهر ميشون ، فالقى كاموانس بنفسه في الـيم وهو يقبض في احدى يديه مخطوطته الثمينة ويرفعها فوق الامواج مخافة ان تبتل وتتلف ، وما زال يجذف بيد واحدة حتى بلـغ الشاطىء ، فاستقبله سكان كامبوا بحفاوة ، واثر فيه هذا الحادث فنظم قصيدة غنائية من اجمل قصائده تخيل فيها انه عاد الى وطنه وقال ان ذوي العاطفة الحية من الناس والشعراء منهم ، لا يكادون يغادرون الارض التي انبتتهم حتى يعلقوا معازفهم على اغصـان الصفصاف الباكي حزناً وحداداً ولا يعزفون عليها الحان البهجة والمرح حـتى تحتضنهم وتحنو عليهم من جديد .

ووصل كاموانس اخيراً الى جـاوة ولكن ليدخل السجن بتهمة الاختلاس اثناء عمله في وظيفة قام بها في ماكاو ، وكان قسطنطين دوبرانياس قد غادر جاوة الى اوربا وخلفه نائب جديد للملك فطال اعتقال الشاعر قبل ان تظهر براءته من التهمة التي اسندت اليه ، ثم تجلت هذه البراءة دون ان يفرج عنه لملاحقته بصدد دين لم يستطع وفاءه في الموعد المضروب ، ولكن نفراً من من اصدقائه ما لبثوا ان سددوا عنه هذا الدين ، فاستعاد الشاعر حريته والتحق ببعثة بحرية جديدة ، ثم تتابع اشتراكه في هذه البعثات ، وابدى خلالهـا الواناً نادرة الشجاعة لم تكن ثمرة مزاج متهور او غضب وحشي ، بل كانت تصدر عن نفس نبيلة تعرف جمال المجد وتبحث عنه لتفيد وطنها وشعبها .

وبعد خمسة عشر عاماً من الغربة في تلك البقاع القصية ، عـاد كاموانس الى لشبونة ، واهدى ملحمته الشعرية الى الملك دون سيباستيان فاعجب بها كثيراً ، وتأثر بالروح البطولية الزاخرة فيها ، وعين لمؤلفها مرتباً شهرياً . ولكن ما كاد دون سيباستيان يقضي نحبه حتى انقطـع ذلك المورد عن الشاعر ، ورزح تحت نير الفقر ، وبلغ من بؤسه ان عبداً زنجياً كان قد جاء به من جاوة فأحبه واخلص له ، كان يخرج تحت جنح الليل الى شوارع لشبونة فيستجدي اكف المارة ليطعم سيده .

وكان الشاعر الكبير لا يزال ينظم القصائد الغنائية الرقيقة والملاحم الوطنية الرائعة ، ولكنها كانت اشبه بالغناء الاخير الذي ينشده طائر البجع قبل موته . . فان الشيخوخة ، والبؤس ، والخيبة المستمرة ، كانت تدفع به نحو نهايته الفاجعة ، وكانت لشبونة المترفة المرحة الغارقة في النعيم تشهد دون اكتراث عذاب ابنها البار واحتضاره البطيء . حتى اذا ما توفي وانقضت على وفاته خمس عشرة سنة ، كرمت المدينة العاقة ذكراه وقدست مثواه ، شأنها في ذلك شأن كل مدينة تقتل ابناءها العظام ثم ترثي لهم وتبكي عليهم !

فدري قلعجي

قصة امرأة او غرام شوبان وصاند

بقلم اندره موروا

عضو الاكادمية الفرنسية

لقد تاقت الى الحب في الحرية ، فلم تجده ، ففشلت ، كما سبق لها وفشلت في الزواج . وهكذا ظنت جورج صاند انها بلغت شاطىء الامان ونجت من اخطار الحب ومهاويه . فما اسرع ما تخدع المرأة! وما اطيب قلبها الطاهر البرىء! فهل يزول الحب من قلبها قبل زوال الصبا والرونق؟ عبثاً تحاول! ان الآمال تدفعها من صبوة الى صبوة في تيار شديد العمق ، بعيد الاغوار . فما اشبهها بجواد الحرب ، يسعد بعد المعركة بهدوء المراعي وسهولة الحياة ، ولكن ما ان تقرع طبول الواقعة ، وتتعالى اصداؤها في الابعاد ، حتى يتعدى الحواجز قافزاً ، نحو المدفع .

ذات يوم ، زار « فرانز ليست » جورج صاند ، وبصحبته فريدريك شوبان ، وقد سبق لالفريد دي موسيه ، خلال علاقته بصاند ، ان أحس بغيرة شديدة من « ليست » . ولم يكن محقاً في مخاوفه هذه . حقاً ان صاند تأملت طويلاً جمال ليست ، وحلمت به في لياليها الطوال ، وتمنت ان يهواها ، لانها عاشت مدة طويلة تحت تأثير الساحر المغري . فهو عبقري ، يتمتع بالثروة والشهرة والجمال ، وبهذه الدماثة الفطرية التي تنشدها المرأة في رجل احلامها ولكن ليست لم يأبه لجورج صاند ، اذ كانت ، كما يقول ، اقرب الى الرجولة منها الى الانوثة ، وانما يريد هو انثى بكل ما في هذه الكلمة السحرية من جمال ورقة واستسلام ، وهذا ما كانت تفقده صاند . و« ليست » يريد لامرأة احلامه صفات لم تجتمع لامرأة قبل صاند ولا بعدها . وقد توهم وجود هذه الصفات في غانية باريسية سرعان ما خيبت آماله . وهي الكونتيس « انجو » النحيلة الشاحبة الشقراء ذات العينين الزرقاوين .

والكونتيس « أنجو » سيدة مثقفة ، تجمع الى جمالها النادر ، روحاً ادبية رشيقة وحساً جمالياً مرهفاً ، وتحسن مع هذا ، عدة لغات .

وقد هجرت الكونتيس ، في سبيل « ليست » ، زوجها ، وابنتها ، وقصرها الفخم ، والمجتمع .

وأحست جورج صاند بان الكونتيس تحيا كبطلة من بطلات قصصها ، فأبدت رغبتها في التعرف اليها . ودعتها الى دارتها الجميلة في باريس ، فجاءت الكونتيس مع ليست .

وكانت صاند تختلف عن « غريمتها » كل الاختلاف ، ولاشك انهما تتشابهان في الموهبة الادبية والذكاء والشجاعة ، ولكن الكونتيس «ماري» تحب المظاهر والوجاهة . فما كانت تحس بالراحة كما يقول ليست ، الا اذا ارتدت ثوباً يكلف المال الطائل . وكذلك ما كانت ترتاح الا لحياة الصالونات والحفلات ، بعكس جورج صاند التي كانت تعشق الجري في الغابات بقميص حريري ابيض وسروال ريفي عتيق ، ومع ان الكونتيس هجرت حي سان جرمين ، الا انها لم تتخل عن العادات الارستقراطية ، وعن انها ابنة اشراف نبلاء . اما جورج صاند حفيدة الملوك ، فلم تكن تتكلم الا عن امها الكادحة ، وحياتها العصامية العاملة .

وهكذا التقت المرأتان واتخذت عداوتهما كما يحدث عادة بين النساء ، شكل الصداقة الخالصة . فالقوى التي تشعر بانهما متعادلة ، يحترم بعضها البعض الآخر ، والمرأتان متمسكتان بليست ، احداهما كعشيقة ، والاخرى كصديقة ، بل ان صاند كانت تشعر باللذة الفنية ، بصفتها روائية موهوبة ، حين تراقب تصرفات



صاند

«ماري» وحركاتها، وتتحسس بأخطائها ونواحي ضعفها وقوتها وهكذا مدت كل من اللبوءتين قدماً من المحمل لفريستها اللدود: فأقسمت كل واحدة « لصديقتها » بالاخلاص والتفاني في المحبة.

وسافر ليست بصحبة جورج صاند والكونتيس ماري أنجو الى سويسرا، حيث ارعبوا بمرحهم وسكرهم الدائم المجنون، اصحاب الفنادق والحانات.

●

وتعرفت جورج صاند، عن طريق ليست، الى فريدريك شوبان. وخيل اليها، حسب تعبيرها، ان العناية الالهية قد خلقت لها شوبان كما اشتهته هي — صاند — ان يكون.

وعلينا ان نذكر هنا ان صاند تلقت في صباها المبكر ثقافة موسيقية غنية. فكان حديثها عن الموسيقى حديث العارف العليم واستماعها اليها استماع المتذوق الصافي الروح، الدقيق الاحساس. وكانت تمتلك الموسيقى الكلاسيكية (حتى المجهولة منها) امتلاكاً تاماً. وما عليك الا ان تقرأ «كونسوالو» فتعرف مدى اطلاعها على مملكة الالحان والانغام. وقد طالما خضع الموسيقيون الفرنسيون لاحكام جورج صاند وأبدعو مستضيئين بتوجيهاتها، وملاحظاتها. وكان « ليست » يتجاهل المرأة، في صاند، احياناً، ولكنه يمتدح فيها الموسيقية دائماً.

وأحست صاند، في شوبان، عبقرية موسيقية تخاطب الروح مباشرة، وتعبر عن القلق، والاحلام والبطولة، معاً وهذه العبقرية ألهبت روح الباريسيين منذ استمعوا الى اناشيدها البكر.

كانت « صاند » تكبر الموسيقي البولوني الشاب بسبعة اعوام وكان هو شاحباً، مريضاً، تنتابه الحمى من آن لآخر. وهذا ما جذب جورج نحو الشاب، فعاطفة الامومة فيها دائمة التأجج والسريان وكان الشاب رائع الجمال، ذا قامة ممشوقة، ويدين ناعمتين. وشعر اشقر يميل الى اللون الكستنائي، وعينين نجلاوين، يشعان بنوع من اللهب الآسر الممتزج بالحزن الكامن الدفين. وانف مقوس دقيق، وبسمة عذبة، وصوت تتسم نبراته بالشدة والرجولة، كما كما ان له في شخصيته نوعاً من النبل والاستقراطية الغامضة. فكان يخيل لمن لا يعرفونه، بان هذا الشاب الاشقر الجميل، امير منفي او ملك اعتزل عرشه بعد حدث سياسي خطير.

كانت احلام شوبان وتأملاته تتخذ شكل نجوى مستمرة ذاتية، وتساؤلات قلقة اذا جلس الى البيانو ليعزف الحانه المبدعة. وكانت صاند تفهم هذه النجوى وكأنها موجهة الى قلبها دون بقية القلوب. ولا عجب ان يسرع اليها الفهم، او تسارع هي الى الفهم، فقد كانت تجلس، وهي بعد طفلة، تحت البيانو، لتستمع، في ساعات طويلة، الى انطلاقات اللحن وتموجات الانغام. وما اجمل واعمق ما تركت لنا من حديث عن شوبان عازف البيانو!

« فاذا جلس شوبان الى البيانو، وتحركت انامله برفق، لم نشعر بسوى خطوط غامضة متاوجة تجتمع لتكون صورة قلقة، ضائعة الابعاد.. وتمتلىء نفوسنا بالرنات العذبة.. ثم ينطلق اللحن السماوي الاثيري، فاذا بنا في الاجواء الزرقاء.. وتتخذ غيوم اللحن الشفافة كل مظاهر الجمال وتتغير احجامها كما يشاء لها الريح والانسام.. ثم تتجمع، ببطء، حول القمر الباهر الذي يوقظ فيها اللون، ويبعث الحياة.. وفجأة تنزع المصاحبة الى الجد، فاذا بها رزينة دقيقة تسيطر على تموجات الانغام، بعد ان كانت تهيم في جو متمهل رقيق. ويرتفع غناء كأسمى ما يكون الغناء.. اسمع. اسمع هذه الموسيقى الالهية..! انها من احلام شوبان وتصوراته.. ولا يمكن لغيره ان يبدعها كما يبدع هذا العبقري العظيم.

فاذا جمعنا هذه الموهبة الموسيقية، الى ما تسنى لشوبان من جمال ورقة، وما يتمتع به من اعجاب وحماس جرف بتياره القلوب، حتى قلبي الكونتيس ماري والموسيقي ليست عرفنا مبلغ حب صاند لشوبان ومدى رغبتها فيه، حين اتصلت به لاول مرة.

ثم ان الكونتيس ماري امتلكت « ليست »، وكأنها تغلبت على صاند، فما كان لهذه الا ان تسيطر على شوبان، حتى تثأر لنفسها، وتحتفظ بعنوانها وعاطفتها وكرامتها.. ولم تكن هذه السيطرة شيئاً سهلاً ميسوراً. فشوبان رقيق مرهف الحس، سماوي الطبع، يحس بانه منفي من اجواء الآلهة، الى بؤرة هذا العالم الشقي، وهو ينفر من الحياة البوهيمية، ويبغض الجدل والنقاش الحاد، ويأنف كل تصنع، ويخاف الفصيحة ايما خوف.

●

زاوية من الصالون في « نوهان » وبيانو شوبان في اقصى الغرفة



وكان شوبان ينشد الراحة ولا يجدها الا في صالون انيق الرياش

يغص بالجميلات الشهيرات، ذوات الالقاب الرنانة، والسحر الاخاذ، يتذوقن الموسيقى، مستعدات دوماً للاستماع، في عتمة تتخللها اشعة خافتة الى لحن يحمل اليهن اعترافات شوبان واحلامه.

وجل ما يتمناه شوبان، هو ان ينقل مستمعيه النبلاء الى جو من التأمل العميق، والكآبة المعذبة، ثم ان يحييهم ويحركهم بمشاعر بطولية اذ يتغنى ببولونيا الشهيرة.

وكان شوبان في السياسة، محافظاً، وفي الحب، ناعماً، خجولاً، فهو افلاطوني القلب، يحب اسمى ما في الجمال، ولكنه لا يحتفظ طويلاً بحبه له. وكان شقياً، فطر على التشاؤم والكآبة، «فالحياة في نظره، نشاز هائل كبير».

حين التقى بجورج صاند للمرة الاولى، قضى عليها بينه وبين نفسه، بحكم قاس عنيف، اذ كانت ترتدي بزة رجل، وتدخن السيجار وتخاطب اصدقاءها، وكلهم من ارفع طبقات المجتمع، بصيغة المفرد، وعلم انها قطعت صلتها الا من اوساط الادباء والفنانين، وهاله ان تجاهر بافكارها الديموقراطية والاجتماعية.

فما أبعد الفرق بينها وبين نساء بلاده الشقراوات الملائكيات اللاتي احبهن بكل ما في قلبه من طهارة وبساطة. ولهذا كله رفض، في بادىء الامر ان يزور صاند، وبعد ان زارها، للمرة الاولى قال لصحبه: شد ما يضايقني رؤية هذه المرأة.. ولكن أهي امرأة حقاً؟ انا اشك كثيراً في هذا.

ولكن الرجل لا يقاوم اغراء امرأة ذكية جميلة، تعجب به. وهكذا اذابت كل اسباب نفوره بحرارة الصداقة الناعمة.

ولا شك ان صاند لا تشبه فتاة احلامه الخيالية، التي تستجيب لها روحه الصوفية، ولكنه كان في تلك المرحلة من مراحل حياته شقياً، بائساً، هجرته حبيبته «ماري ودزنسكا» فراح ينشد السلوى والنسيان. وبدأت «صاند» تشغل خياله، وافكاره، وقلبه، ففي اغسطس سنة ١٨٣٧ نقرأ في يوميات شوبان:

«رأيتها اليوم ثلاث مرات. وحدقت طويلاً في عيني، اثناء عزفي على البيانو لحناً يتشح بالكآبة ويصور مغاني الدانوب الازرق الجميل.. واحسست ان قلبي يراقص قلبها.. في تلك البلاد.. بلادي.. رباه.. ماذا تقول هاتان العينان العميقتان السوداوان اذ تحدقان في عيني، فتحملان الى اعماق روحي رعشات غريبة محمومة!! كانت تتكىء على البيانو، وتحرقني بنظراتها اللاهبة، وتغمرني بالنشوة الحمراء.. ثم تنظر الى الازهار حولنا.. قلبي يهتف باسمها.. انه لها.. رأيتها اليوم ثلاث مرات.. انها تحبني.. أورورا.. اي اسم هو هذا!!.. ما اعذبه وما احلى وقعه في اذني.

وكان يجد في صاند قوة تجذبه اليها رغماً عنه، لانها قوة تشد ازره، فصاند تقدره، وتوحي اليه، وتنصحه بما اجتمع لها من الحس والجمال والمعرفة، انها امرأة سخية بعواطفها وشخصها.. متأهبة ابداً للعطاء.



شوبان في السادسة والعشرين من عمره

ومع هذا، ففي سنة ١٨٣٧، حين زار «ليست» مع عشيقته الكونتيس، قصر جورج صاند في «نوهان». لم يقبل «الصغير» — كما كانت صاند تسمى شوبان — ان يرافقها الى زيارتها، وكان لها في ذلك الزمن عشيق موقت، اتخذته بعد «موسيه» و«باجلو» و«ميشيل دي بورج» وكان هذا العشيق معلماً لاولادها، وآسياً لجراحها. وهو يدعى «مالفي» ولكنها كانت تلهو معه لهواً. فاذا جاء شوبان.. ارسلت مالفي بمهمة الى لندن. او الى الجحيم.

كان لسكن «ليست» و«فاري» الطويل في نوهان جمال وسحر. فهذا الموسيقي العبقري، أثار مكامن الجمال واطلقها في المنزل الهادىء الرحيب، المستغرق في هدوء الطبيعة وروعة الارياف والموسيقى، تعبر لكل انسان، عن افكاره الذاتية الاشد عمقاً والادق حساسية. تصور صاند، المرأة الجميلة الفاتنة، جالسة على الشرفة، تصغي بشوق وانتباه الى لحن «ملك الغابات» يعزفه فرانز ليست، في حين تتمشى «ماري» في عتمة المساء، حول الشرفة، متشحة بنقاب حريري ابيض. وفي ظلمات الشجر، وبين الاغصان الملتفة، يصدح العندليب ويرافق «ليست»، بالحان متتابعة تتسارع حتى تمحي في غيبوبة مطلقة.. فيترك «ليست» الحان «شوبير» الالهية السامية، ويأخذ في الارتجال والابداع.

شوبير

تقول صاند «كنت احب الحان شوبير يعزفها ليست، وكان يخيل الي ان مقاطعها المتسارعة المتدفقة المتراقصة في الجو، اشباح

جن تتسامى بهدوء، هامسة لاهية .. كنت انصت اليها .. وكانت اوراق الزيزفون تصاحب « ليست »، وتكمل اللحن، بوشوشة وهمس خفيض، كأنها تتناجى ويسر بعضها الى بعض بأسرار الطبيعة والوجود.

وكانت جورج صاند تراقب ماري. فالمرأة تهوى التدقيق وتعشق الملاحظة والتأمل. وسرعان ما شعرت صاند بالراحة. اذ ان علاقة ليست بماري بدأت تتراخى. ولا عجب اذا لم تقاوم صاند احاسيس اللذة التي انتابتها، فهي امرأة بكل ما في هذه الكلمة من معنى. وحين زارها بلزاك، في نوهان في الرابع والعشرين من شباط سنة ١٨٣٨، صارحته بأن في حياة هذين العاشقين المقيدين باخطائهما الاجتماعية[1]، كما يقيد الآخرون بالروابط الاجتماعية، موضوعاً طريفاً عميقاً، لقصة، يمكن ان تدعى « المعذبون في الحب » او « سجناء الحب » واعترفت لبلزاك بأنه لا يمكنها ان تكتب هذه القصة، لانها صديقة « ليست » و« ماري » الحميمة، وتخلت للقصصي الكبير عن الموضوع وهكذا اتسنى لبلزاك ان يكتب رائعته الخالدة « بياتريس »

ورسالة بلزاك الى مدام هانسكا، توضح حالة صاند النفسية في تلك الايام. فانه وجدها، من الناحية الجسمانية، سعيدة، قوية. فلا يتخلل شعرها الحالك شعرة بيضاء واحدة، رغم همومها ومآسي حياتها .. وكذلك لم يتغير لون بشرتها الخمري اللامع. وعيناها تلتهبان بالنار، وتلتمعان بالشهوة والحياة.

ها هي في عزلتها العميقة المريرة، عافت الزواج وملت الحب لانها لم تجد في هذا وذاك سوى الخيبة والفشل. ولعل مرد هذا الى قلة عنصر الانوثة فيها. وقد بلغت في هذا حداً جعل بعض المعجبين ينصرفون عنها. انها رجل. انها فنان. انها عظيمة، كريمة، مخلصة، طاهرة، ولها كل صفات الرجولة الحقة. انها ليست امرأة. انها ارادت لنفسها هذه الصفة، وخرجت من تمثيل دور المرأة، ان الشقاء الابدي كتب عليها.

وهكذا فهي تحب اليوم رجلاً دونها (مالفي). وفي هذه العلاقة ستتجرع كأس المرارة والخيبة كما اعتادت او كما عودها الزمان .. ولاجل سعادة المرأة يتحتم عليها ان تعشق رجلاً يفوقها، او على الاقل، ان تتوهم انه يفوقها توهماً تاماً لا يتطرق اليه الشك، والا بطلت السعادة.

لعل بعض القراء عجبوا من اشارة بلزاك الى طهر « صاند ». ولكن هذا صحيح. فلم يكن للغرام، والاتحاد الجسدي، ونيل المتع الشهوانية الا لذة ثانوية، فجل ما كانت تطمح اليه هو التمازج الصوفي والاتحاد الروحي .. وسيرى هذا واضحاً في علاقتها المنتظرة بشوبان:

ظلت صاند تحلم بهذا الشاب العبقري الجميل .. طيلة ايام الصيف، وطالما تراءى طيفه لها، وجرى على ريشتها، رسائل وذكريات وآهات .. تحرق القرطاس، او منعها من الكتابة والتفكير.

وكانت تزوره، اذا سافرت الى باريس من حين لآخر وتختلي به في جلسات ممتعة هادئة، في المساء. وتنطلق الروحان، في زرقة السماء المطلقة، وتتعانقان في عالم المثل .. ولكن شوبان يفر ولا يستقر على حال. والخجل والخفر يثيران كوامن الحب، وهذا ما حدث في اعماق « صاند » اذ اثارها امتناع « شوبان » ودلاله فجن جنونها ..



شوبان بريشة جورج صاند

اخذت الوساوس والحسرات التي كانت تنتاب شوبان حين يذكر ماري ودزنسكا، تزول وتتلاشى. اما مالفي، عشيق صاند، فلم تكن صاند تقيم له وزناً او تحسب حساباً.

وحين سمح لنفسه بشيء من الغيرة، وهدد صاند، وعظته بقولها: « ان المرأة ليست متاعاً للرجل .. يظل وقفاً عليه ما عاشت. » وحاول الصراخ والبكاء فلم يجده ذلك نفعاً، فغاب عن وجه حبيبته القاسية، يجتر آلامه ويبكي في عزلته غرامه المفقود.

بقي على صاند ان تتغلب على خفر شوبان وخجله. فهو يخاف الفضيحة، ويخشى تندر اصدقائه به، وغضب عائلته المحافظة. ولم يشأ ان يرتبط بصاند في باريس. ووجد « الصديقان » ان خير سبيل لهما هو السفر .. وكان موريس (ابن صاند) في حاجة صحية الى الرحلات .. فنصح الاطباء لصاند بمرافقته الى اسبانيا. فتواعدت مع شوبان على اللقاء في مدينة بربنيان، ليسافرا من هناك الى « الباليار ».

ونصح اصدقاء اسبانيون، للكاتبة والموسيقي، بالسفر الى

(١) نتج عن علاقة « ليست » « بماري » ولدان

جزيرة «ماجوركا» ذات المناظر الطبيعة الخلابة والجو المعتدل اللطيف. وسافر العاشقان .

***

وقضيا شهر العسل . . ثم توالت الايام الشقية . . اذ ان رطوبة منزلهما الذي استأجراه في ماجوركا أثرت في صحة شوبان ، فراح يسعل سعالا غريباً مخيفاً . . ولاحت عليه اعراض السل . . وخاف اهل البلدة من هذا الغريب المريض ، فاضطروا صاحب المنزل السنيور « غوميز » الى طرد شوبان وصاند . فتركا « منزل الرياح » كما كانت صاند تسميه ، واصطحبت شوبان الى دير مهجور ، فيه غرفة واحدة مؤقتة ، قائم في الجبال البعيدة .

وهكذا سكنا ، في شهر كانون الاول ، وفي تلك الجبال الشاهقة الموحشة . . دير « فلدموزا » .

جبال شاهقة مخضوضرة . وصخور جرداء . . ونخيل متفرد بعزلته الصامتة ، في سماء وردية . هذا هو الجو الجديد يعيش فيه العاشقان ويتمتعان في ايام الصخور بما ذكرنا من الجمال والروعة . اما في الليالي الماطرة ، فالوحل ، والثلوج ، والبرد ، اقل ما يلم بهما في عزلتها تلك الغريبة . فينصرف شوبان الى التأليف . . وصاند الى كتابة القصص .

وكانت النسور تحلق فوق سريرهما . او يظلل الضباب الجبل ، ويحملها الى جو رمانتيكي حالم . وكان شوبان يعمل في « صومعة » مهمل الثياب ، مرسل الشعر ، شاحباً كالعادة .

وقد الف ، خلال المدة التي قضاها في « ماجوركا » اغاني عديدة والحاناً . اوحى اليه القلق اكثرها . . فكان يجلس في غياب صاند واولادها في النزهة ، ليؤلف الحانه الخالدة .

وكتبت صاند تقول « كنا نقتضب نزهاتنا ، لخوفنا على رفيقنا المريض . فكنا نجده احياناً ، عند عودتنا في حالة غريبة ، يعزف على البيانو باكياً ، فاذا رآنا ندخل ، صاح من البهجة والفرح وراح يقص علينا احلامه وتخيلاته الغريبة المرعبة .

وقد اخبرني فيما بعد سبب بكائه . فقد خيل اليه اننا متنا . وخلط بين الحقيقة والخيال ، فراح ينتحب ويبكي . ثم هدأ قليلاً ، واخذ يعزف الحانه برقة وهدوء ، مستغرقاً في احلامه . وكأن هذه النغمات المتناثرة الرتيبة ، دموع تتساقط من السماء ، على قلبه الغامض المعذب » .

وهكذا كان شوبان ، في هذا المناخ الرومنتيكي البديع ، يخلق الرائعة بعد الرائعة ، والاثر المطرب المعجب . ولكن سكنه في « فلدموزا » ارهقه ايما ارهاق . . « وكان مرحاً ، ساحراً في المجتمع ، مريضاً يائساً حين اخلو به وكأن روحه تتمزق بمرور الآن . وثنية ورقة من اوراق الورد ، او ظل فراشة ، او همسة نسيم ، كافية لان تدمي عينيه من البكاء . وما كان يطيق سواي . وكان يتحرق شوقاً الى الرحيل ولا يعادل شوقه الا سأمه الجامح الملول . »

وقر قرارهما على الرحيل وألمت نوبة بشوبان ، فراح يمج الدماء . واشرف شوبان ، في السفينة التي اقلتهم ، على الهلاك . فهواء السفينة مسمم بأنفاس قطيع من الخنازير ، قريب من غرفة شوبان . . وقضيا ثلاثة اشهر في مرسيليا (من ابريل الى مايو سنة ١٨٣٩) . وعنيت صاند عناية الام ، بشوبان . ووفرت له ما في وسعها ، حتى تماثل للشفاء . . او هكذا ظنت .

فالى اين انتهى حبهما بعد هذه التجربة القاسية ؟ اما شوبان فقد عاد ، كما سافر ، عاشقاً يتمكن الحب منه ، ويتعمق حتى يمس شغاف قلبه ويملأ حياته كلها . وأيقنت صاند ان شوبان سيكون عالة عليها ، فرضيت ، وحنت عليه حنو الام على ولدها . وادغمته في اسرتها وسيكون لها منذ الآن ثلاثة اولاد : شوبان وموريس وسولانج . وعليها اذن ان تعيش من أجلهم ومن اجل فنها . وستحاول خلال ثماني سنوات ، ان تظل وفية لما انتوت من ثبات واخلاص .

وأحس اصدقاؤها بأنها حولت اتجاهها في الحياة فاغتبط بعضهم ، وغضب آخرون ، وتألم اكثر من صديقة وصديق . . .

ثم قبل الزوار الباريسيون ، والمخلصون لها من مواطنيها في نوهان ، ادغام «شوبان» في اسرتها واعتادوه . فراحوا جميعاً يختمون رسائلهم بعبارة « تحياتنا الى شوبان وسولانج وموريس . . . » أو « قبلاتنا الى اولادك شوبان وموريس وسولانج . . . »

فرانز ليست وهو يعزف الحان شوبان الخالدة



ولم تحدث الفضيحة التي خشيها شوبان . اذ كان مرضه ، وعبقريته ، ودماثة خلقه كافية في اسكات الفضوليين والمتدخلين . وما كان ليخرج ، في الاجتماعات ، عن ادبه وتحفظه ، فلا ينادي جورج إلا بسوى «مضيفتي المحترمة» و «السيدة» . وهذا كله يفعل فعله في الغرباء .



شوبان عام ١٨٤٧

كان ذلك الصيف سعيداً في «نوهان» رغم ان شوبان لا يحب الريف حباً شديداً فما كان له ان يشارك في الحياة في الهواء الطلق تلك التي تحبها صاند. ولم تكن صحته تساعده على تسلق الجبال واجتياز الانهار وتسلق الاشجار كما كانت تفعل صاند واولادها على ان هذا لم يمنعه من الشعور بالراحة والهدوء، فراح البيانو يصدح من الصباح حتى المساء، في تلك الاجواء الريفية الساحرة، اما ذوق صاند الموسيقي الدقيق فشيء يفخر به شوبان ويعده نعمة العناية الكبرى، وأعانها هذا الذوق النفاذ على تفهم حياة شوبان الداخلية بكل دقائقها وتثنياتها السرية... فكانت تتابع تطور نفسه، وروحه، وغرامه...

من يوميات شوبان: ١٢ تشرين اول ١٨٣٩

«يقولون ان صحتي في تحسن. نوبات السعال والآلام زالت. ولكنني اشعر بألم في أعماق وجودي. وعينا «اورورا» غائمتان لا يلتمعان الا حين ألهو وأمرح. وعندها تنقلب كآبة العالم، حولي، فرحاً وحبورا. انامليِ تمر برفق على البيانو، ويراعتها تمر على القرطاس. انها تستطيع الكتابة وهي تصغي الى الموسيقى. آه يا حبيبتي اورورا في سبيلك افعل كل شيء. أحلق في السماء، وازحف على الغبراء. لا شيء يستحيل علي في سبيلك. نظرة.. او لمسة.. او بسمة منك هي كل املي من الحياة. انا لا احيا الا بك ولك سأبدع الالحان واخلق الاجواء الراقصة العذبة. فلا تكوني قاسية يا حبيبتي. ولا تنظري الي بعين لاهية.. عين الصد... والنسيان...»

«لا تكوني قاسية»... بهذا يناجي شوبان صاند، فهل نفهم منه أنها كانت شديدة الوطأة عليه؟ لا أظن ان كلمته تصدق فيما يمس الحب والفؤاد والروح. وهي لا تعني ان صاند لم تعد تقدر الموسيقي الشاعر حق قدره. غير ان شوبان لم يكن مخلوقاً لملذات الحب ولياليه الحمراء. فمرضه الدائم يحول بينه وبين احتمال اعباء الحب. وهذا ما دفع «جورج صاند» الى التخفيف من حدة اتصالات صديقها بها، رغم ابتهالاته ودموعه... وانتهى بهما الامر الى تمنعها عنه تمنعاً نهائياً.

جورج صاند الى صديقها «ألبير جريمالا»

١٢ نوار ١٨٤٧. منذ سبع سنوات وانا أحيا كالعذراء، معه، ومع الآخرين... وقد بلغت الشيخوخة، قبل الاوان، وها أنا قد مللت العواطف والرغبات، بل اكاد اكفر بالحب نفسه؛

كثير من الناس يزعمون انني حطمت شوبان بعواطفي الملتهبة، ورغباتي اللامتناهية.. ويزعم غيرهم انني حملت اليأس الى نفسه، والسل الى جسده، بما سقيته من كؤوس الصد والحرمان... واظنك تعلم الحقيقة يا صديقي. اما هو... هذا الحبيب الغاشم المعبود، فيشكو الي الحرمان ويدعوني الى عناق لا ينتهي... ولكنني واثقة بأنني اقضي عليه اذا اجبته الى ما يبتغيه.»

ومن البديهي انه ما كان «للاسرة» ان تقضي العام كله في «نوهان». فعلى شوبان ان يعود الى تلامذته في باريس. بل ان صاند نفسها راحت تتمنى ان تعيش في باريس توفيراً للنفقات يدفعها الى ذلك طبيعة الحياة وغلاء المعيشة في نوهان. فصاند، في نظر اهل نوهان، نبيلة عظيمة، وعليها ان تستقبل ضيوفاً دائمين، لا تختفي وجوههم حتى تطل وجوه اخرى اقبلت للسلام...

وهكذا سكنت «الاسرة» باريس، وكان لصاند واسرتها في العاصمة، ١٦ شارع «بيجال»، جناحان انيقان، تلتقي فيهما النخبة من اهل الادب والسياسة وكانت صاند تمتدح شوبان، باللهجة المحبة المعجبة نفسها، فهو طيب كالملاك، خبير بشئون القلب، دمث رقيق. ولولاه لفقدت شجاعتي ولحطمتني قسوة القدر...

ولكنها لم تصطحبه معها في الصيف، الى «نوهان». اما في الاعوام الستة التالية فقد رافقها شوبان الى مسقط رأسها: وفي قصر نوهان «اعادت صاند، كما تقول، بناء عش الاسرة الدافىء الحنون».. فقضى شوبان، في هذا القصر الوسيع الانيق، بين الزهر والشجر اجمل ايام حياته واصفاها، وكانت الالحان تنطلق من نافذته، من الصباح الى المساء، وتتصاعد كالسحب الفضية البطيئة الى غرفة الاديبة العظيمة وتغمرها بالنشوة والسحر. حين تختلط بعبير الورود وزقزقة العصافير، فاذا وجدت «بولين فياردو» في القصر، تغنت بصاحبة شوبان، بأناشيد مارسيلو، وبوربورا، ومارتيني القديمة. اما «دون جوان» موزار فكانت في نظر الصديقتين والموسيقي طرفة اللحن اطلاقاً.

.. وشوبان عصبي المزاج، يكره الجدال والمناقشة، ولكنه عنيد، يتمسك بمقعده ولا يتزحزح عنه الا بمقدار ما تضطره اللياقة او يضطره الحب.. وكثيراً ما غيرت جورج موضوع الحديث، كما يفعل الاهل مع الاطفال.

وكان غريباً عن افكارها السياسة منها والدينية، فهو لا يطمح مثلها الى ايجاد فلسفة جديدة، بل يتمسك بكاثوليكيته المحدودة.

ولم يمنعه هذا من الاعتراف بشفقتها المحمودة وبرها بالفقراء والضعفاء . ولكن الاختلاف في الرأي والمذهب يميت الحب ، ويقضي على الاخلاص . فالحب ينزع الى السيطرة الجسدية الروحية التامة . فالرجل الاشد اعتدالا وتسامحاً يسرع اليه الغضب اذا لمس في حبيبته اتجاهاً سياسياً غير اتجاهه الشخصي . وشوبان لا يقر صاند على افكارها التقدمية الجديدة التي تشتد وتتبلور حول نواة جمهورية واجتماعية .

ومع هذا فقد والت سهرها عليه بعطف واخلاص . فاذا تركها الى باريس ، اوصت به احدى صديقاتها ، السيدة «مارلياني» لتؤمن له ما يحتاج اليه من خدمة وعناية . « اليك يا عزيزتي صغيري شوبان . انني اعهد به اليك . فاجهدي للعناية به رغماً عنه . انه لا يحسن الحياة بدوني . ويقوم بخدمته فتى طيب ، ولكنه حيوان ، وانني اعتمدك لتكوني صديقته واخته وامه » .

اما شوبان فظل مخلصاً لحبيبته الوفية . فاذا توعكت صحتها ، وباتت طريحة الفراش ، قام الى جانب سريرها آناء الليل واطراف النهار ، كممرضة ماهرة لطيفة ، وظل للعاشقين اتصالها في عبادة الفن وتقديس الجمال .

وما اكثر السهرات الهادئة ، والليالي الحالمة والاصائل الذهبية الساجية ، التي عرفتها الحبيبين مخلصين ، يذوب احدهما في الآخر ويستغرقان متناسيين الزمان والمكان . . .

ولكن تناقض طبيعة كل منهما ، مزج مع هذا الحب ، عناصر النزاعات المقبلة . فلم يعد حبهما تعلقاً متبادلا قوياً ، بل اخلاصاً والفة ورقة ، ولا شيء غيرها . . .

وكبرت سولانج وغدا موريس شاباً . فلم تعد حياة شوبان مع صاند سهلة كما كانت في الماضي . وهذا موريس يبدي الملاحظات لوالدته عن الفضيحة التي يسببها وجود شوبان الدائم في المنزل .

وها هي سولانج تسخر آناً من شوبان ، او تمثل احياناً دور المرأة المكتملة الانوثة ، بدلالها وتصرفاتها ، فتؤثر في الموسيقي نظراتها وابتساماتها . . . ولا عجب ، ان كانت تنظر اليه كرجل في حين تنظر اليه امها نظرتها الى طفل . اضف الى كل هذه الاسباب مرض شوبان وازدياد حالته سوءاً على حين تلقى نبأ موت والده .

فأضحى حزيناً دائم الكآبة ، كثير الوساوس والظنون .

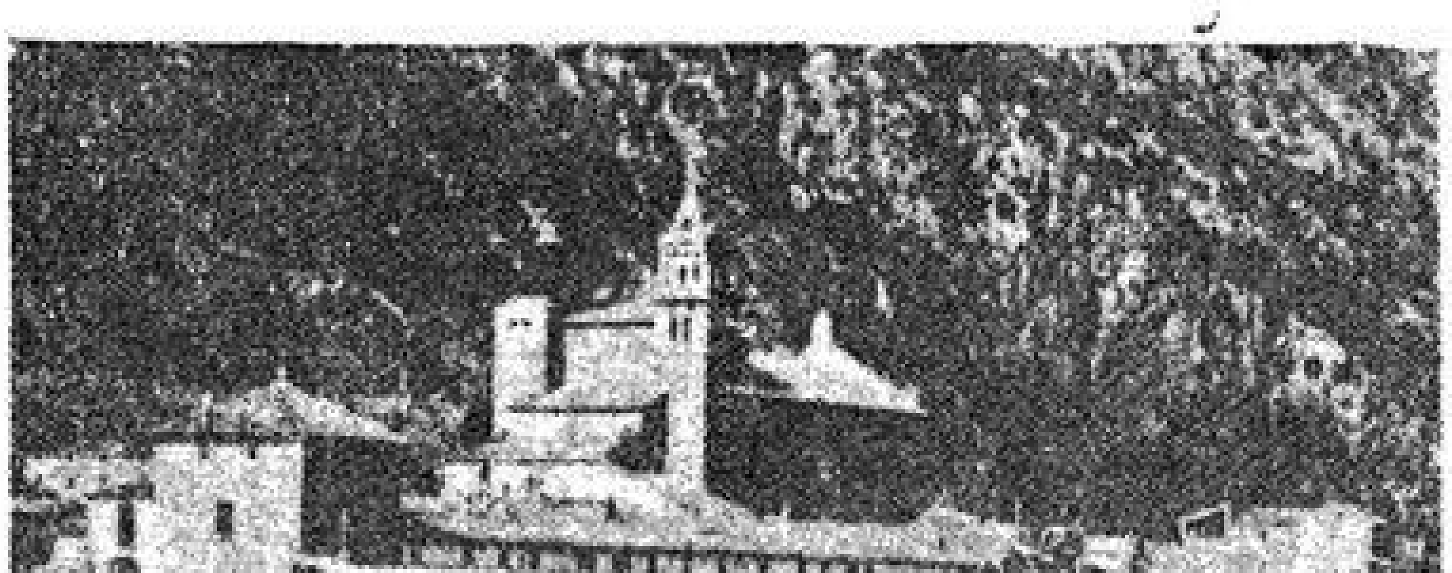
وتبدل مسلكه في المنزل . وراح يعنف جورج ويرميها بأشنع التهم . فلم تجد الا الكتابة وسيلة للترويح عن نفسها . وكتبت قصة « لوكريسيا فلورياني » وضمنتها شيئاً من حياتها وآلامها وخيبتها .

يبدأ الحب بأحاسيس قوية نبيلة وينتهي بتفاهات صغيرة . والحياة المشتركة تولد دائماً سوء التفاهم والنزاع . والزواج حل فعال يضع حداً لاكثر المشاكل والصعوبات . اما العلاقة الحرة ، فتفسد بمرور الزمان .

كانت الحياة في قصر « نوهان » ، كما يبدو ظاهرها ، شعراً ومرحاً وعبقرية . فهذا يقرأ الروائع الخالدة ، وتلك تعزف على البيانو ، وذاك يؤلف ، وتلك تنشىء اللوحات الجميلة . ويذهب اهل القصر الى الحقول ، ويتسلقون الجبال ، ويستحمون في النهر القريب ، ولكن الهدوء المنشود لم يسيطر على القلوب والارواح .

ودعت صاند سنة ١٨٤٦ الفتاة « اوغسطين برو » للحياة في نوهان ثم تبنتها . وكانت اوغسطين هذه تمت بصلة النسب البعيد الى صاند . شاءت الصدف ان تعيش امها حياة اللهو والفسق والمجون ، وخافت صاند ان تقتفي الفتاة خطوات امها ، فدعتها الى نوهان ، وعهدت اليها بموريس . . وسولانج . واستقبلها موريس (طبعاً) بما ينتظر من شاب يستقبل فتاة خارقة الجمال . . بل ان استقباله لاوغسطين كان غاية في الجرأة والانعتاق . . اما سولانج ، فنظرت الى الضيفة بفتور واستعلاء . وسرعان ما انقسم المنزل الى معسكرين : صاند وموريس ، في جانب الفتاة . وشوبان وسولانج ضدها . وتوترت العلاقة بين المعسكرين . وصرفت صاند خادماً من خدم القصر ، مخلصاً لشوبان فاحتج هذا ، ثم تشاجر خادم شوبان البولوني مع خادمة صاند ، وادى بهما الشجار الى الوكل والعض .

دير فلدموزا في جزيرة ماجوركا



وسأم شوبان الحياة في « نوهان » . فراح يبغض كل شيء ويبدي العداوة للجميع اذا استثنينا سولانج اذ كان يجد فيها صورة جديدة ، لتلك المرأة التي أحبها . بل ان حبه لسولانج تعدى العاطفة الى الافكار ، بعد ان لمس في « سولانج » مشاركة في افكاره المحافظة وخاصة حول الدين ونظام الطبقات .



جورج صاند

●

ووجه شوبان التهمة الى موريس واوغسطين . واشار الى علاقتهما المتطورة . . . فهدد الفتى بترك المنزل . . وثارت صاند على شوبان لهذا التدخل في شئونها البيتية الخاصة . « ولم افعل غير ان اشرت اليه بعدم التدخل ، وذلك في سبيل راحة باله وهدوء اعصابه . . . ولكنه نظر اليّ وقال : لم تعودي تحبين . . . فأية تهمة هي هذه ! وما أقسى قلبه المريض !! وما اشد هذا التجديف على اخلاص ثماني سنوات من التضحيات والحب والتفاني !!! ولكنني واثقة من انه لا يعي ما يقول » . .

وفي كانون الثاني ١٨٤٦ ، ترك شوبان نوهان . ولم يخطر في باله ، وهو ينطلق بعربته تحت الثلوج المتساقطة بهدوء رائع ، بأنه لن يعود الى مغاني حبيبته الساحرة .

ووصل باريس . وراح يكتب الى صديقته الرسائل الطويلة المرحة المفعمة بعبير الصداقة وهمسات الندم . ولكنه غضب حين علم بزواج سولانج . وراح يكتب الى اصدقائه منتقداً سلوك جورج صاند . وأعضاء اسرتها !!!

***

كانت سولانج شقراء ، جميلة ، فاشتهرت في الاوساط الراقية . وكانت متحمسة تفعل ما يبدو لها ، اندفاعاً مع طبعها المشاكس المعاكس ، وكانت على شيء من الجنون ، ولها بعض جرأة امها دون ان يكون لها عبقريتها . . . وكتبت اليها صاند وهي بعد طفلة « ان لك قلباً طيباً يا طفلتي وحدة في الطبع شديدة . . »

وكبرت سولانج واستقر لها الطبع السيء ، اما طيبة القلب فغابت في سحب الظنون والشهوات .

***

ان العلاقات بين الاهل اشد تعقيداً وخطراً ، واحفل بالمآسي والصعوبات من علاقات العشاق . . . والامر يهون ما بقي الاولاد اطفالا ، اذ يخضعون لاهلهم الذين يرمون الى تكييفهم كما يشتهون ويريدون . . ولكن الولد الذي يكبر ، ويكتمل ، ويصبح ارادة تتطور ووعي مستقل ، وحرية ذاتية ، يغضب اهله ويدهشهم . . فاللعبة الجميلة ، التي كانت محل الدلال والحب ، تصبح خطراً يكمن فيه العداء . . . وام كصاند ، لا يرقى الشك الى اخلاصها وتفانيها ، تتطلب اخلاصاً مماثلاً واعترافاً بالجميل ، وطاعة تامة . . . ووفى موريس بما عليه . اما سولانج فتمردت على امها ، وتحول الحب بينهما الى فتور ، فشجار ، فعداء مستحكم شديد .

واشار الطبيب على صاند بتزويج سولانج . وهي بعد في الثامنة عشرة من عمرها . فخطبها ، في مطلع سنة ١٨٤٧ « فرناند دي برايو » وهو نبيل من نبلاء مقاطعة « بيري » . وتراءت السعادة لسولانج ، ورأت في الزواج مخرجاً لها من حالتها البيتية الصاخبة وسافرت مع امها الى باريس لتعد حوائج الزواج وهناك التقت سولانج بكائن صاخب ، مضطرب الحياة والمسلك ، بنحات كان بحاراً ، هو « اوغست كليزانجيه » . بدأ حياته الفنية بعرض للتماثيل الجريئة العارية ، فنال شهرة موشاة بالفضيحة ورجا صاند بأن تسمح له بنحت تمثال لها ، وتمثال لسولانج .

والظاهر ان اهتمام النحات ، اثناء عمله في تمثال سولانج ، لم يكن مقتصراً على رخامته فحسب ، وانه اثناء جلساته الطويلة مع الفتاة الجميلة ، اغتنم الفرصة المناسبة . وحين انتهى التمثال ، اعلنت سولانج انها لا تحب فرناند ، وانها ستتزوج المثال « اوغست » . ولكن صاند « خطفت » ابنتها الى نوهان ، فلحق بها « اوغست كليزانجيه » واستطاع ان يقنع الروائية بأن تعطيه يد ابنتها .

وهكذا كان ، واذا علمنا ان بكر الاستاذ « اوغست » جاء قبل ميعاده بثلاثة اشهر ، علمنا سبب السرعة في عقد زواج المثال على الآنسة « سولانج » .

صاند الى موريس : لا تقل كلمة ، ولو كلمة واحدة ، لشوبان حول هذا الموضوع ، فهذا لا يعنيه . وحين تمر العاصفة ، او تقع ضربة القدر ، يصبح الحديث بـ « اذا » و « لكن » طريقاً الى المتاعب والآلام .

وجزت صاند ابنتها حسناً على فعلها ، فوهبتها « دوطة » طائلة

وراحت تمدح صهرها، الجديد مجيبة من يعيرونه بهوان النسب والعائلة، وهي تقول «انه سينقش القابه على الرخام والبرونز.. وستكون خالدة.

ولم يحقق أوغست آمال صاند. فقد كان مبذراً، قاسياً، ليس خليقاً بالزواج. وراحت تكتب لاصدقائها تشكو همومها وخيبتها المتواصلة.

***

وانقطعت رسائل شوبان نهائياً بسبب هذا الزواج.. «هذه الفضيحة». فقد كان يكره المثال كرهاً شديداً.. وقال لاصدقائه يوماً: — ليس بعيداً.. ان نرى في العام المقبل، في المعرض السنوي، جمالات سولانج الخفية.. معروضة على الناس.

وحدثت مأساة عائلية، ونزاع تخللته الفضائح والمخزيات، هربت على أثره سولانج الى باريس. وكتبت «صاند» الى شوبان تدعوه الى نوهان، فلم يجبها.. رغم انه يحتفظ لها في قلبه بحب جامح شديد.

صاند الى الآنسة روزيير: «واخيراً.. تلقيت اليوم رسالة من شوبان.. وها انا ارى انني خدعت — كالعادة — في آمالي وطيبة قلبي. لقد قضيت ست ليال من الارق والسهاد، اما هو فقضى هذه المدة يغتابني في منزل اعدائي.. حسناً! لقد كتب الي بلهجة رزينة مضحكة، كما يكتب شاب عاطل عن العمل الى مدير شركة، انا اعلم ان سولانج قادرة على ايذائي وكرهي.. ولكن ان تنتزع مني قلبي.. حياتي.. كل ما املك في هذه الحياة.. رباه! ما اقسى حكمك وما اشد عذابك! ولكنني علمت.. علمت ولم اعد غبية.. لا! لن اعطي بعد الآن روحي وجسمي عشباً تقضمه حيوانات القسوة والعقوق».

هكذا يزول الحب وتنقضي العهود الجميلة. ويشتد ألم النهاية ما كان الحب مشتداً متأصلاً في سابق عهده.

ولم تتخل صاند، عند الفراق، عن طيبة قلبها، ولكن اعصابها كانت مرهقة.. متوترة.. ولذلك رأيناها، في عهد تلا علاقتها بالموسيقي الشاب، تستفسر دوماً عن صحته وترسل اليه بطاقات التمنيات. وازهار الاعياد.

وليس حقاً ما زعمته سولانج من ان والدتها تجاهلت شوبان في الشارع يوماً.

***

مشهد الختام.. في هذه القصة الحزينة، مشهد مؤثر.. رواه لنا شوبان في رسالة الى سولانج:

ذهبت البارحة لزيارة السيدة «مارلياني». وعند خروجي من المنزل، التقيت بالسيدة والدتك، داخلة مع «لامبير». حييت والدتك وسألتها عن اخبارك. فقالت: — منذ اسبوع زرتها.

— الا تعلمين شيئاً عن اخبارها بالامس.. او منذ يومين. — لا.

— اذن فاعلمي يا سيدتي انك اصبحت جدة، فقد رزقت سولانج طفلة، لها جمالك، وانا مسرور اذ اكون اول من يطلعك على هذا النبأ السعيد.

وروت صاند هذه الحادثة على طريقتها: قلت:

«حسبت ان بضعة اشهر من الفراق تشفي جرحي، جرح قلبي الدامي وتعيد الي صداقته الهادئة الجميلة.. رأيته اليوم ياصديقتي اليوم رأيته، وهززت يده الباردة المرتجفة، واردت ان اتحدث اليه فتهرب مني، تهرب كأنه لم يكن اعز الناس الي.. وجاء دوري لاقول له «انك لا تحبني» ولكنني جنبته هذه الاهانة.. ولم اقل ما سبق وصفعني به صفعاً، ولكن علي الآن ان لا أراه. وسأحاول بل انني عزمت. لا! لن أراه.

هذه هي الحياة.

فقد نجد قلبين عاشقين متحابين. ولكن في اتصالها وتلاحمهما يد كبرى للعادة. اغرسهما بعيدين الواحد عن الآخر. تجدهما يعيشان كأحسن ما تكون الحياة! وتمتد جذورهما في الارض الجديدة.

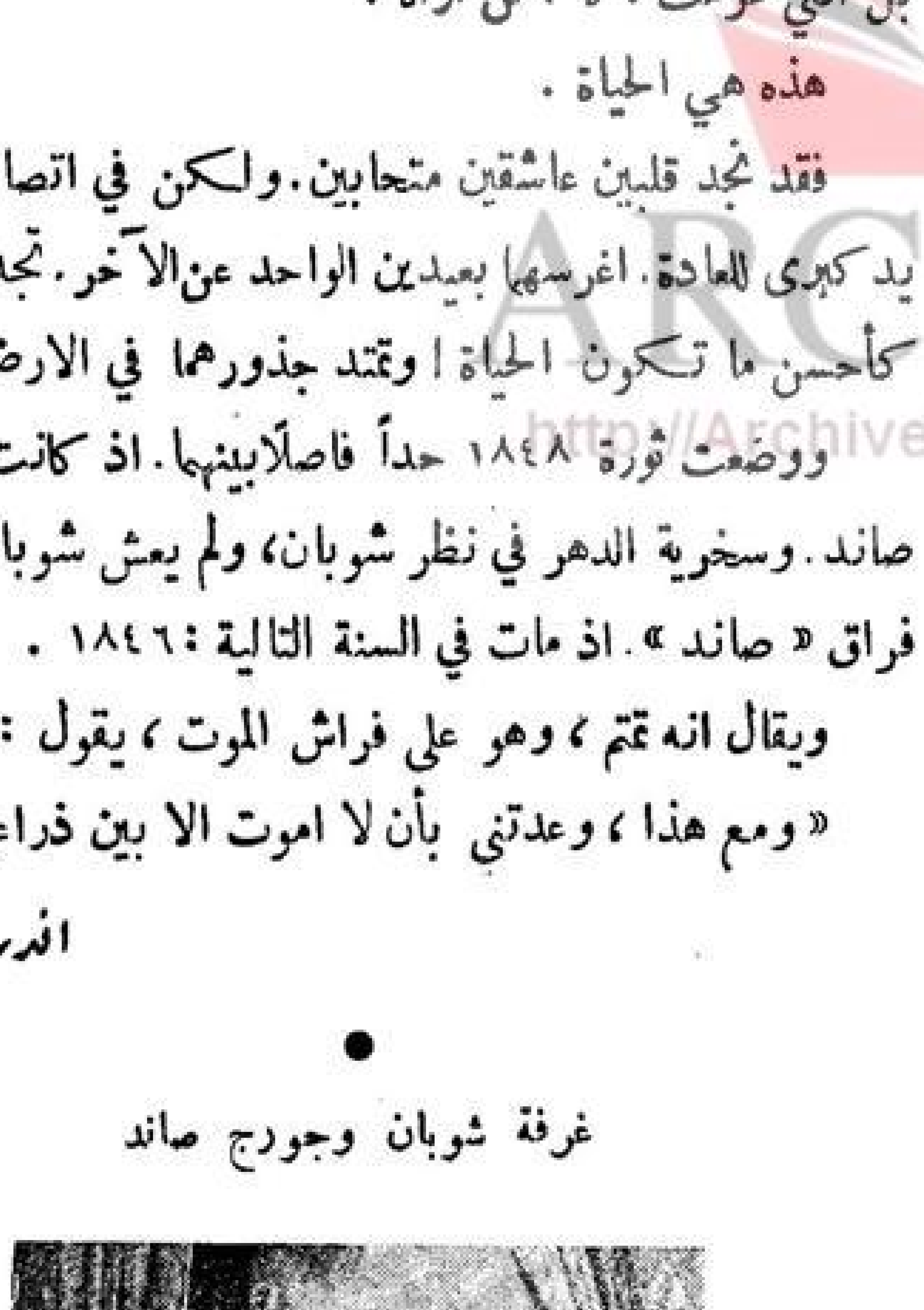
ووضعت ثورة ١٨٤٨ حداً فاصلاً بينهما. اذ كانت مناط آمال صاند. وسخرية الدهر في نظر شوبان، ولم يعش شوبان طويلاً بعد فراق «صاند». اذ مات في السنة التالية: ١٨٤٦.

ويقال انه تمتم، وهو على فراش الموت، يقول:

«ومع هذا، وعدتني بأن لا اموت الا بين ذراعيها»

اندره موروا

غرفة شوبان وجورج صاند



الى جورج صند

لفؤاد الحشن

●

للشباب
دغدغات مرحه
بين نهديك تمور
وفجور
من صداه
عربدات الشهوات الوقحه
في شفاه
يبست من ظمأ جن على الثغر لظاه
صارخاً ... يترع ناراً وسراب !
***
أنتِ مصباح تراءى
لفراشات الصباح
فتهاوت فوق فيه المستباح
ترشف النار خموراً
هوّمت فوق لماه
فتزيد
بلظاها عطشاً تلك الشفاه
لتعود

ظمأ يصرخ جوعا !
وتعب النار عبّات طوال
يستحيل الجسم منها لدخان
خافق ... يطفو على هام الزمان !
***
اين احزان « ملاكيه » واطياف السهاد
ودموع سكبت فوق الوساد
هي ذوب الحرق
من فؤاد شفه حب شقي
أين « دي ميسيه » والعمرُ شباب
وامل
جسمه قد ذاب وجداً وعذاب
وقُبَل !
أين ظمآن الرِّغاب
هو طيش واغاريد شباب
يسكب الانغام من قلب جريح
لهباً في « ليلة آب »
يتلظى فوق فيه ... فيصيح :
« أنا اهوى واحب الالما
أنا اهوى واحب السقما
والشحوب
أنا اهوى الدمع محموماً يذوب
من جفوني ... كاللهيب
أنا اعطي بدل القبلة عمري ونبوغي !
يا فؤادي يا رهين الحسرات
والضلوع
قم تفتح للهوى ... كالزهرات
في الربيع
وتعذب ... بعد ما طال العذاب !
واعبد الحسن لتفنى في النبوغ
قبل ان تبدو تباشير الغياب ! »
أين يا « اورور » لهاب الحنين
ها هو في غرفة سوداء ... منهوك ، حزين
يذكر الامس فتنساب دموع المقل

لليالي « نبلي »
والعشيات الشهيه
في قنال البندقيه
فوق صدر الزورق
هدهدته كف موج قلق !
... كلما رن صدى في اذنيه
او تراءى شبح في ناظريه
راح يهذي هذيان الثمل :
« ما لقلبي مسرعاً بالنبضات ؟
ما لمصباحي حزين الرعشات
مثل هدبي ...
يطرق الباب !.. الهي ! من أتى
من ينادي ؟
هي أنتِ ؟ !
هل حنا الدهر فعدت !؟
وسوسات !! هو طيف !!!
أنا وحدي
يا لنفسي من شقاء الوحشة
وطيوف الوحدة ! »
أين مخمور « الليالي » ؟
هو طيف في سرير الموت مصدور نحيل
يزعج الليل بآهات طوال
يسكب الانغام دمعات تسيل
وولوع
كالشموع
جسمها يفنى دموعا
عمرها يمضي سريعا
تترك العيش ربيعا
ويظل
نورها الفاني يهل
فوق انوار الخلود !
مات « دي ميسيه » والعمر شباب
وامل
جسمه قد ذاب وجداً وعذاب
وقبل !!

أين في « الفندوم » عرش
زينت شرفته بالزنبق
وتراءى ساجياً في الشفق !
زف فيه اللحن للحرف بحلم عبق
قد تلاشى كالغمام الازرق !
أين « شوبان » وانغام الحنان
في « نهان »
ولذيذ السمر
تحت ضوء القمر
حيث تحلو القبلات
وتذوب الوشوشات
أين « شوبان » جنون الوتر ؟
اين رقص السرر ؟
فوق عرش الزهر
وليال فنيت بين عناق
ودموع !
أين « شوبان » انين الوتر
هو نسر زرع الجو صياح
هاله سهم اليه انطلقا
فهوى للارض مكسور الجناح
فوق صم نثرته مزقا ...
صبغ الصم وراحا
نتفاً غامت جراحا
كان في الفجر اناشيد سناء
فغدا عند المساء
نتفاً منثورة فوق الصخور !
قد اشحت الوجه تيهاً وفتور
عندما جنت فراشات الصباح
وتهاوت في الشعاع المائد
في جناحيها جنون وجراح
تتزى بالنجيع الخالد !
فاستمال الجسم لحنا
راجفاً ينضح حزنا
وتخطى صخب اصوات الحياة

الشويفات - لبنان
فؤاد الحسن

اقنعة الحقيقة والخيال

بقلم جبرا ابراهيم جبرا

استاذ في الآداب من جامعة كمبردج

لقد تفحصت مؤخراً الكتابات التي تروق لسواد القراء، فوجدت انها في الغالب من النوع الذي يستهدف خلق ضباب عاطفي يتيه القارىء في اطوائه. واذا تفحصت ذلك الضباب العاطفي نفسه، وجدت انه ليس بأكثر من نفخة حارة على لوح زجاج بارد، يخيل للقارىء المسكين انه يرى فيه صوراً لنفسه المعذبة! واكثر الكتاب الرائجين من العرب—او قل المصريين — قد حذقوا فن « النفخ على الزجاج » وقد اوجدوا كلمات كثيرة غمسوها بالعواطف المبهمة التي تهاجم القارىء في تداع نفساني مبتذل، كهذه الكلمات : « الفن، راهب الفن »، « الخلود » (ما اكثر ما تستعمل هذه الكلمة في النثر والشعر العقيم!) « الدموع، العبرات »، « السآمة »، « رعشة الهوى »، « الحب والجمال » (وما اكثر ما يسيئون الى هاتين الكلمتين) الخ، الخ.

ما مقدار ما يتضمن الابداع من حياة الفنان وفكره؟ لست ادري اما انا، فانني دائماً موجود في ثنايا المتاهات التي ابتدعها في كتاباتي. ولست اجد عن ذلك ندحة. فالكتابة عندي ضرب من الاعتراف (والاعتراف يريح النفس من بعض ما يثقلها) وكل ما في الامر هو ان هذا الاعتراف قد يكون جميلاً وحسن التركيب او قد لا يكون. فاذا كان، فهو خلق ادبي، والا فلا.

البغاء الذهني، كالبغاء الجنسي، يعود الى اسباب اجتماعية واقتصادية. فكما ان لا امرأة في الوجود يلذ لها ان تكون نهباً لعناق كل عابر سبيل، كذلك لا أديب يلذ له ان يجعل من ذهنه مهرجاً لتسلية كل قارىء جاهل. ولكن المجتمع الذي يوجد المومس بما فيه من تناقض وغبن ووحشة وايمان بالخرافات، يوجد ايضاً الكاتب الذي ينقده بسخا، لكي يثير حساسية الجماهير البليدة، وينعش خيالها الراكد: فيظن آلاف القراء الاميين انهم مثقفون، ولا يدركون عمق هاوية الظلام التي يتخبطون فيها. ووجود بغايا الذهن في مجتمع ما لا يشير الا الى ما في ذلك المجتمع من نقص في الثقافة. واكثر البلدان عدداً منهم اقلها ثقافة واقربها الى ذلك الضرب الرهيب من الجهل الذي يتراءى لصاحبه علماً.

***

ان المرء ليشعر بان الحاجات الداخلية—حاجات الذهن والروح— هي اهم ما في الحياة. فاذا ما اهملها واستمر في اهمالها زمناً بحيث تبدو كأنها ما عادت توجد مطلقاً، فانه ليرتعب عندما تفاجئه على حين غرة، وتجعله يحس بها بقوة عجيبة، وتطالبه بتحقيقها.

انك في هذا المكان تسمح للذبول بان يتطرق الى روحك، ولكنك لا تفلح في اذبالها حتى الموت — ومن هنا ينشأ اليأس والحنين. الحنين الى ماذا؟ الى اشياء الروح، والى الاماكن التي يتغذى فيها الذهن وينتعش وينمو. اما هنا، فأنت تعيش في فراغ كثير الضجيج، يحيط بك النفاق والحسد وضياع الجهد، وغالباً ما تحيط بك العدمية المطلقة (Nihilism). تصور رجلاً ينتظر في محطة تتلاعب الريح فيها في ليلة شتاء باردة. انه معرض لمجرى الهواء، وهو يسمع دوماً جعجعة قطارات تبدو كأنها قادمة نحوه، ولكن لا قطار يأتي الى المحطة ابداً وفضلاً عن ذلك، فان صاحبنا ينتظر، بل انه لا يجد مناصاً من الانتظار، اذ ليس لديه ما يفعل سوى الانتظار، وان يكن قد ادرك ان المسألة كالهامزاح ثقيل، وان المحطة - وان يكن المفروض انها محطة — لم يقصد احد يوماً ان يجعل القطر تمر فيها..

ذلك ما اشعر به في هذا المكان.

***

لا اظن ان مفكراً ما يستطيع ان يتفاءل اليوم. والظروف في في العالم كما هي. فالمفكر لا يلبس النظارات الملونة، بل ينظر حوله ويمتد بصره الى اقاصي الدنيا، بعين نفاذة لا تحتاج الى العدسات.

كنت ايام الصغر احلم بمستقبل احقق فيه حياة كحياة جبران. اما اليوم فلا اجد في كتبه الا صوراً غائمة تمسحها بيدك دون مشقة لقد تألمت مع البشرية في زمن كان فيه كل شيء في متناول يدي من مال، وامرأة، وصديق. لا تحسبن انني انما اسفت على نفسي وبكيت على خسارتي، فتظاهرت بالتشاؤم عن مصير الانسانية. ان تشاؤمي لم ينبت الا من شعوري العميق باحزان الناس، ومعرفتي بان الموت بآلاته يمشي مشية الطاووس بينهم. هل رأيت الجائعين في الزوايا والخائفين من القنابل والمعتدين على المارة في الشوارع والرجال الذين لم يعرفوا يوماً حب امرأة؟ هل رأيت الفقراء يذهبون الى السينما ليحققوا أحلامهم بضع دقائق ويقرأون اخبار الباشاوات والملوك في « المصور »؟ هناك من يضع رأسه في الرمل كالنعامة

ويتناسى الحقائق . اما انا فقد حاولت في شعري ان اتعرف عليها واستدل منها على حقائق ابعد مدى. وموضوعي هو العالم بأجمعه، لا مجرد « انا » او طائفة انتمي اليها او بلد اعيش فيه . لقد اصاب العالم (وما احب العالم الى نفسي) مرض رهيب . وأنى لهذا المرض ان يشفى اذا لم نستطع ان نشخصه اولا؟ وهل من العدل ان تدعو الطبيب متشائماً اذا وصف العلة كما هي ؟

***

اشتريت اليوم باقة كبيرة من الورد مخاطة بكمية كبيرة من اوراق الورد على عساليجها وعساليج كثيرة اخرى. واتيت بها فرحاً الى غرفتي ، واخذتها الى الحمام لالقي عنها العساليج المتراكمة واضعها في ابريق ماء زجاجي – واذا . . واذا كل وردة مربوطة على ساق قصبية غريبة عنها ، كالوجه الجميل المركب على جسم من خشب ! اترى الى اي حد بلغ مكر الناس ؟ ان جمال الوردة في تيهها على ساق تنثني . ولكنها اقتطفت بيد وحشية من رقبتها ، وركبها اللص على ساق من قصب ولفها بالاوراق وقدمها الي كأنها العروس . . ومهما يكن من امر فها الباقة في الابريق امامي على المنضدة ورائحة الورد تملأ خياشيمي ، ولكنها قد لا تدوم بعد عشية اليوم . اني لا اكره شيئاً في الحياة بقدر ما اكره الغش . اني اغفر لاي انسان ان يصنع ما شاء بي ولكنني لن اغفر له ابداً اذا غشني واستغل طيبة قلبي .

***

سواء أكنت رجلاً ام امرأة ، عليك ان تجعل حياتك سعياً مستمراً ، واكتشافاً متواصلاً . والا وجدت ان ايامك يتلاشى الطعم فيها ، وان وحش الفراغ الرهيب قد فغر فاه ليلتهم ذهنك ونشاطك ، ويأتي على شبابك .

***

كنا جالسين في مقهى « عبدالله » نشرب الكونياك ، وفرقة الجاز الاسبانية تعزف عزفاً يقارب الجيد . وكان د. قد خرج من المستشفى منذ يوم او يومين ، وانا اشعر بتحسن جديد في صحتي ، فكنا ننضح كلاماً وفكراً يستدرهما الكونياك اللذيذ والرمبا المثيرة . فاستحثني صديقي ان اكتب سيرة حياتي بالانكليزية، على ان اكون واقعياً في الوصف ، مقللاً من الخيالات الذاتية . وهنا تكلمنا عن مسألة « الذاتية » في الكتابة Subjective فقلت انني من حيث الكتابة او الفن اناني شديد الاثرة ، اشعر بانني مركز الحياة ، وان كل ما حولي ليس الا ظلالا ، وليست له الا حقيقة الظلال . فعندما اكتب ، انما استحضر هذه الظلال لتتلاعب وتتمازج ثم تتلاشى ، كأنها لم تكن . ومع ان كيتس يقول ان الشاعر يصب نفسه دوماً في غيره ، ولذلك فهو لا شخصية معينة له ، فانني اصب كل شيء خارج عني في قالب نفسي .

***

. . رغم هذا الهدوء الظاهر فان نفسي لم تهدأ بعد . كم كان بودي ان اكتب عن كل ما يعن لي من خواطر في فترة عصبية كهذه غير ان النفس المضطربة تميل الى مبالغة التوافه احياناً واهمال ما قد يكون اكثر خطورة ، كما انها اميل الى الغضب والتهور ، في حين كنت قد آليت على نفسي منذ مدة ان ارقب الحياة ببرود العقل واتزان الحكمة . ولا اقول هذا لادفع عني تهمة الكسل في الكتابة ، لانني لست اظن ان امتناعي حتى عن قول الشعر خمول في الذهن . بل هو نتيجة لهذا اللون من النضج في العاطفة حين تشتد في العمق وتقل في الغليان والزبد . ولكن ، رغم ذلك ، لا انكر انني كثيراً ما اتذمر حين أراني لا أريد ان اكتب . ولهذا اشغل نفسي بالترجمة . او هل تظنني كنت استطيع ان افعل ذلك منذ ثلاث او اربع سنوات ؟ لو توقفت عن الكتابة يوماً واحداً حينئذ عن اكراه ، لشعرت بانني اريد ان اخدش الجدران باظافري لاخط شيئاً جديداً . فقد كانت كتابتي دائماً منفذاً لا بد منه لعواطفي . وذاك الكلام المستمر ، وتلك المحاضرات والحفلات ، لم تكن الا منافذ متعددة لما كان يتراكم في نفسي من مشاعر وغضب وحب وألم : اي انني وجدت في الفن شفاء لنفسي . وانغماسي في التصوير فجأة لسنتين على ذلك النحو الذي يدهشني حين اذكره الآن ، لم يكن الا مخرجاً آخر ، بعد ان سئمت الكلمات . ولما قامت الدنيا وقعدت في فلسطين ، واضطررت الى الاستكانة مكرهاً على ذلك السطح المشرف على « وادي الجمل »، وقع التناقض الغريب : لانني بالفعل بدأت حينئذ ان اجد شيئاً من الهدوء في نفسي وشعرت – في شيء من النشوة – بسريان عصارة النضج في ذهني ، جعلت اتعلم النضج بهدم ما تبقى في من الصلف الذهني ، والنزول الى ابسط الاشياء على ابسط نحو ، دون تعقيد المعرفة .

***

اذا لم تتغذ حواسي ، أصاب خيالي الجمود . واذا ما عشقت الحياة ، حياة الحس العنيفة ، صببت فيها من ذهني وقوداً – سمه روحياً ان شئت – يزيد من فورة تلك الحياة واجيجها وجمالها . اما ان اصب وقود ذهني في ثنايا حياة الحس فيها ميت ، فأمر أرفضه الآن . لقد

واقع وحياة

بقلم يوسف الشاروني

كنا في نحو الرابعة عشرة او الخامسة عشرة، وكنا نشتعل حيوية، ويملؤنا حنين الى الرحيل نحو ارض سحرية وعوالم منطلقة. كنا نحس اننا ندفع ضريبة هائلة للمجتمع من حركاتنا وسكناتنا لمجرد كوننا اطفالا. وكنا نتطلع الى الدخول في مجتمع الكبار حتى يتزاح عنا هذا الكابوس الاجتماعي الذي يحاول في غير مبالاة ان يخمد من نفوسنا كل ما هو طفل.

لهذا كنا دائماً نحلم، نحلم باشياء عجيبة، في الليل وفي النهار وفي كل لحظة نستطيع ان نهرب فيها الى نفوسنا. وكانت تعتمل بنا آمال لم نكن نعيها كاملة بعد، ويصلنا من هنا وهنالك رشاش من افكار وآراء، ويفزعنا من حين لآخر منظر او حادث، ونحن نحاول جاهدين ان نعبر من ظلمة اللاوعي الى ذلك الوضح الذي يحيا فيه هؤلاء الكبار، وكانت كل لحظة تعني لدينا شيئاً جديداً وكانت لذة الاكتشاف تملأنا فرحاً واندفاعاً، من حين وجدنا في كل خطوة نخطوها حكماء مخيفين يتطوعون بافهامنا في صوت رهيب ان حيويتنا واندفاعنا، وكل هذه الاحلام والآمال ما هي الا عرض من اعراض مرض يصيب المراهقين، سوف نشفى منه حين نعبر هذه السن الى نضوج الرجولة وهدوئها. ولكم ازعجتنا هذه النصائح واقضت مضاجعنا وجعلت بعضنا يتردد في اولى خطواته، محاولا ان يتقمص هذه النصائح التي كانت نفوسنا افسح منها مرات كثيرات.

لقد حدث ان تفتحت عيوننا على مجتمع يئن من الفوضى والانحلال، ولم نكن في حاجة الى ايسر مجهود كي نلمح الاوحال والقاذورات تتراكم في الضمائر والتقاليد. وكانت حياتنا واتصالاتنا تتيح لنا كثيراً من فرص الاشمئزاز والكثير من التفكير في امر هذا المجتمع. وكان يحدث ان نأمل في ان تخف آلام المحرومين او في ان نقضي على جشع الجشعين. لكننا ما نكاد نتحدث وما نكاد نفكر او نأمل حتى نجد هؤلاء الحكماء المتطوعين قد التفوا حولنا من كل ناحية، ولا اشمئزاز ولا انزعاج مما يدور حولهم، وهم يقولون في صوتهم الوعظي الرهيب: نعم، نعم، لقد كنا نفعل مثلكم ذات يوم، لكن غداً ستألفون هذا جميعه، وستعلمون انه نظام طبيعي خالد. ثم يهزون رؤوسهم مشفقين، فقد نحتد في غضبنا وحنقنا ذات يوم فيؤدي ذلك بنا الى سخرية او اضطهاد، وهذه نتيجة خطيرة من نتائج « طيش الشباب ». على ان لديهم املًا في ذلك الزمان الذي سيجمد من عواطفنا حتى نصبح عقلاء امثالهم وسنفهم اذ ذاك ان الدرس العظيم الذي يلقيه علينا واقع الحياة هو ان كل انسان لا يهتم الا بنفسه، وان احداً لن يذكرنا يوم نضحي من اجله.

جعلت اشعر بتفاهة الناس، ولم اكن اشعر بذلك من قبل. صرت اضيق ذرعاً بالناس، وما كنت افعل ذلك من قبل. لم ادرك قط كما ادرك الآن مقدار تأخر الشرق وسخفه وسلبيته المفزعة. هذه سلبية مخيفة تسيطر على السياسة والمجتمع، تسيطر على الذهن والجسد، وسوف يعيش الناس في الشرق ويموتون دون ان يعرفوا اللذة الحقيقية، لان السلبية تنفي والايجابية تحصّل. والحياة هي الايجابية، والايجابية – على ما يبدو – لم تخطر ببال الشرق بعد. اما انا فأرفض ان اكون سلبياً، ولو كان في ذلك خطر القضاء المبرم ورهبة الحتف المحتوم.

بغداد — جبرا ابراهيم جبرا

لقد كنا نستيقظ شيئاً فشيئاً لنحس الحرمان والجوع . وكان يحدث ان تمر ليلة او ليلتان على البعض منا بغير ان يجد عملاً ولا اكلاً . وكنا نحس بتناقضات مرهقة من حولنا وفي نفوسنا . فقد كان كل ما هو طبعي يبدو محرماً قد ضرب حوله سياج كثيف من التقاليد والشرائع حتى اقضتنا عذابات الضمير ونحن نتأرجح بين هذه الافعال التي تفصل المجتمع فصنفها لنا الى فضائل ورذائل .

وكان بعضنا قد زهد في هذه الالوان المتكررة من الطعام المتقشف الذي يتناوله كل صباح وكل مساء، فتراوده دوافع غامضة لكنها ملحة حول سرقة او محاولة احتيال وكان بعضنا الآخر قد اشتد به جوع جنسي مكبوت حتى اصبح كل حلمه فتاة ناعمة كالقطيفة يضاجعها طوال الليل . لكن ضمائرنا كانت تقف لنا بالمرصاد فتعذبنا على كل خلجة من هذه الخلجات المحرمة . كنا نحس اننا لسنا احراراً حتى حين نخلو الى نفوسنا . وقد كان يحدث ان يثور صديق على ضميره فيحاول السرقة او اشباع عواطفه فيلقى عقاباً صارماً .

وعبثاً كنا نحاول ان نجد صدى لكل هذه الآلام فيما يقع بين ايدينا من كتب ومجلات . كان ثمة مؤامرة منظمة للاضراب عن الكلام حول اخطر المشاكل التصاقاً بنا . وكان يحدث ان ندهش اولاً لمثل هذه المؤامرة ثم نحاول ان نعبر عنها ، واذا بالحكمة المزيفة تنبعث من كل ركن في المجتمع ان هذا هو واقع الحياة . وانه يحسن بنا الا نواجهه والا نتحدث عنه كما هو ، بل من الخير لنا ان نهرب الى اساطير او فقاعات ذهبية عسى ان تخف بعض آلام الحرمان والجوع . ولقد حاولنا مخلصين ان نتسامى بحرماننا وجوعنا، ومع ذلك لم يحدث ان حلت هذه الطرق السحرية مشكلاتنا يوماً ما .

وكان يحدث ان يلتقي محظوظ منا بفتاة من هؤلاء اللاتي يزدحم بامثالهن المجتمع فتتفتح اعيننا على عالم لؤلؤي وهاج ويعمينا النور ونحن نندفع في نشوة تستنشق عطرها في انفاس عميقة متصلة وتغارس في حبنا لها افعالا جديدة علينا ، فعل الايمان ، وفعل الاخلاص ، وفعل الفرحة التي تهزنا اول ما نلمح الانسان الذي طالما تبنيناه مقبلاً علينا من افق ذهبي رائع . لكن يحدث ان تتطوع هذه الفتاة ايضاً بان تنضم الى جمهور الحكماء المزيفين ، حين يقبل رجل يكبرها بعشر سنوات ، يحمل معه مركزاً اجتماعياً زائفاً وحفنة من النقود كي يقودها نحوه كما يقود السيد كلبه . وحين تبدأ تموت تجربتها عن حياتنا نستمع الى ذلك الدرس الخالد القاسي وهي تلقيه علينا في سخرية جبانة : هذا هو واقع الحياة . ونرى بأعيننا بماذا يتعامل هؤلاء الواقعيون في شئون عواطفهم ومستقبل حياتهم .

اما حبنا وايماننا واخلاصنا فلم تكن سوى خيالات تصوغها طفولة مراهقة سننفصل عنها ساعة ننضج ونعقل .

وفي كل خطوة نخطوها يحاول المجتمع ان يسلب عنا كل ما احتفظنا به من ثروات الطفولة . ويحاول ان يعلمنا ان الخداع والقسوة هما الوسيلتان الوحيدتان كي نبلغ مآربنا . اما كل ما هو نبيل وجميل فلا يمت الى واقع الحياة بصلة .

ورغم هذا فان دماءنا تظل تصدع باناشيدها السحرية الخفاقة، وقلوبنا لا تزال تنبض في حرارة وحماسة ، وخطواتنا تندفع وقد علت وجوهنا ابتسامة متفائلة . ونرقب من حولنا اشباحاً تجيء وتذهب في حركات آلية ، ونحن نسمع اصواتاً تنبعث من عمرنا الرابع عشر او الخامس عشر صائحة : هذا هو واقع الحياة !

ونلمح هؤلاء الواقعيين عن كثب . انهم واقعيون لانهم لم يفكروا يوماً واحداً فيمن حولهم . وهم واقعيون لانهم لم يحاولوا ان يعبروا في صدق واخلاص عن انفسهم ابداً، وهم واقعيون لانهم وأدوا عواطفهم وذهبوا الى المواخير والقاذورات يلتمسون ان يشبعوا بقية من اجسادهم وما ادفأ الايمان ولا الاخلاص قلوبهم لحظة واحدة هذا هو الواقع لديهم، ان تطفىء كل شعلة في نفسك، وان تصبح انانياً ساخراً منحلاً وجشعاً : هؤلاء مرضى يمتلىء بهم مجتمع قتل فيهم ارواحهم بنظمه واساليبه ومتناقضاته ، ولم يستطيعوا ان يقاوموا طويلاً فبرروا الهزيمة بحكمة زائفة كونوها حول الواقع والحياة ثم حاولوا ان يفرضوها على الآخرين .

اما نحن فنستمر في طريقنا . ومعنا كل العمالقة والاقوياء . اننا لا نزال نتألم لآلام الآخرين، ونثور ضد اللصوص والجشعين . ولم ننضم بعد الى هؤلاء المتآمرين على اخفاء الصق المشاكل بحياتنا . ولا تزال قلوبنا عامرة بالحب والايمان والاخلاص . اننا لم نهزم بعد في معركة المجتمع ولا فضلنا ذلك الجانب الآمن من الحياة . اننا لا نزال في اندفاع طفولتنا وحيوية شبابنا كل ما فعلته السنون هو ما اضافته من فعل الى احلامنا ، وما صقلته بالخبرة في نفوسنا . وقد ادركنا اننا نشارك في تكوين هذا الواقع بحيث نستطيع ان نساهم فيه خيراً مما يساهم غيرنا ففهمنا واقع حياتنا لحظات حية مشتعلة ومارسنا وجودنا في عناد وتفاؤل متصلين ، ومزقنا في غير تردد ، ذلك القناع الزائف الذي حاولوا ان يضعوه للحياة منذ طفولتنا ، لنكشف عن هذه الاكذوبة الهائلة التي يشيعها حكماء مزيفون حول الواقع والحياة .

القاهرة — يوسف الشاروني

الذكرى العاشرة لامين الريحاني

بقلم البرت الريحاني

طلبت اليّ محطة الشرق الادنى* ان القي كلمة بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة شقيقي امين الريحاني فحرت في الامر وابطأت في الجواب – وما عسى ان يقول اخ في اخيه !! على انني عدت عن هذه الحيرة حينما تذكرت بعض الحوادث في حياة امين الشخصية التي قد اكون اقرب الناس الى سردها من اي شخص سواي. فنزلت عند طلب المحطة وجئت اروي لكم بعض ما اعرف :

ولد امين الريحاني في الفريكة من لبنان سنة الف وثمانمئة وست وسبعين (١٨٧٦) وتعلم الألف باء في مدرسة دير متواضع قريب من بيته ما يزال قائماً حتى اليوم. وكانت مدارس تلك الايام في القرى اللبنانية بعهدة رجال الدين. وكانت المدرسة التي تعلم فيها امين في باحة، شبه مربع مفتوح الجانب، يجلس الصبية على مقاعدها الحجرية الملتصقة بحيطان الدير ويقف المعلم الكاهن بينهم عند مدخل المربع وبيده عصا قصيرة شبيهة بعصا اساتذة الاوركسترا اليوم. وما اقتصر الشبه بالاوركسترا على هذه العصا التي كان مفعولها مفعول السحر على هؤلاء الصغار فحسب، بل تعداه الى ثوب الكاهن الاسود كذلك والى الشكل الهندسي في الباحة كما ذكرت والى اصوات الصبية يرددون مع المعلم الالف باء خطأ او صوابا. وكلما لاحظ المعلم حركة من صبي منهم لا ترضيه او بدا عدم اهتمام لما يقول، كان يهز عصاه نحوه، واذا تكرر الحادث جازى المعلم الصبي بالفلق. فيشد رجليه الى مرس معقود الطرفين بقوس خشبية ويذيقه ضربات أليمة.

امين الريحاني في جواز سفره الذي يحمل تواقيع ملوك وامراء العرب. وهو اول جواز يحمل هذه التواقيع



وكانت تلك الباحة التي يجتمع فيها الصبية الدرس مكشوفة للسماء. فما ان تتكبد الشمس الفلك حتى يصطلي الصبية بنارها فينتقلون والمعلم الى زيتونة تبعد عن هذه الباحة ما يقرب من ثلاثمائة متر يستظلون ظلها وينعمون بنسيم الوادي المنعش فيتملكهم الكسل واحياناً يتغلب عليهم وعلى المعلم النعاس فيغطون في نوم

* اذيع هذا الحديث في ١٣ سبتمبر ١٩٥٠

هادىء مستكن : عالم كان بعيداً بعيداً عن عالم اليوم .

وكان بين الصبية التلاميذ صبي اكبرهم سنا من بيت شباب ، قرية تبعد الى الشرق من الفريكة نحو الكيلومترين ، رافق اميناً وصادقه في درس الالف باء . على ان هذا الرجل ما يزال أمياً وحياً يرزق يصنع الفخار ويقص على محدثيه انه علم اميناً الريحاني . اما امين الكاتب فداوم التردد على صديقه ومعلمه الفاخوري الشبابي يستعرض ذكريات الماضي فيرتاح الريحاني الى حديثه فيعتز الفاخوري به .

مرت الايام وانتقل امين من مدرسة تحت الزيتونة الى مدرسة في الفريكة كانت ارفع مقاماً وامتز علماً والى معلم اشتهر فيما بعد في عالم الصحافة العربية هو المرحوم نعوم مكرزل . تقول الوالدة ، ان اميناً في هذه المدرسة بدأ يظهر حيوية على اقرانه فكثرت الشكاوى بنزقه وطيشه وكان يومئذ اميل الى الدعابة واللهو والمكابرة منه الى التلميذ المجتهد . يتسلق التوت مع الصبية في مواسم الحرير فيأكل الشماميل الناضجة العسلية ويلعب الكلال في الطرقات وينحدر مع الاولاد الى وادي القرية الذي عرفه هذا الصبي فيما بعد باسم «وادي الفريكة» ليعود بما جمع من اكواز الصنوبر والبلوط والجوز ومن عناقيد الزمزليق والقندول الاسود . وتخبرنا الوالدة كذلك ان معلمه نعوماً طلب اليهم يوماً ان يحثوا اميناً على الاجتهاد فيحفظ جيداً ما تعلمه باللغة الفرنسية ليلقيه باسم المدرسة في استقبال قنصل فرنسا الذي كان يقوم بزيارة للمنطقة .

القى امين الصبي ما تلقنه بالفرنسية في تلك الحفلة مرحباً بسعادة القنصل فكان لما القاه وقع مستحب ادى بسعادته ان يطلب من ابي امين ان يرسل الصبي الى فرنسا ليتعلم . ولكن ابا امين كان مصمماً ان يرسل اميناً مع شقيقه الى الولايات المتحدة .

طوت الايام سنين جديدة على ما سبقها من حياة هذا الصبي القروي وما غيرت هذه السنون شيئاً بعد في حياته . ولدٌ يصرف وقته بين المدرسة واللعب والمهاترة وليس هناك من دلائل التفوق فيه اللهم غير ذلك الميل الى الدعابة الذي رافقه فيما بعد وتجسد تهكماً لاذعاً في شخصية امين الريحاني الكاتب .

من الفريكة القرية الوادعة في لبنان ، الجاثمة على كتف واد مهيب مسحور ، تحيط بها سلسلة من الجبال فتتعانق في الشرق منها قبالة صنين وتحت كتفه . من هذا الجو الهادىء السحري ركب امين البحار الى نيويورك وترك ايام الفريكة دون ان تترك ذكرياتها مخيلته . وما ان وصل نيويورك تلك المدينة الجبارة الصاخبة اللعوب ، تلك المدينة التي تطمس الشخصيات فلا يقوى عليها الا كل جبار عنيد ، حتى تبدل ذلك الصبي فغمره الهدوء والاستهجان .

عاش امين وعمه في نيويورك اربع سنوات لم تعرف عائلته عنه شيئاً سوى ما يطمئنها به عن صحته . وبعد ذلك لحق به ابواه حيث اسس والده مخزناً تجارياً عهد الى امين بتدقيق حساباته ومساعدته في البيع . لكن اميناً ما احب التجارة حياته وبالرغم من انه كان يعمل في مخزن والده في النهار ويتعلم اللغة الانكليزية في مدرسة ليلية كان يسترق وقت العمل فيطالع احياناً في زاوية المخزن . وما ان يفاجئه والده على تلك الحال حتى يؤنبه قائلاً : دع هذا الكتاب من يدك الآن وانتبه الى عملك فلا ارغب ان اصنع منك فيلسوفاً .



غرفة امين الريحاني في الفريكة والمكتب الذي وضع عليه معظم مؤلفاته



الاستاذ البرت الريحاني

•

انقلب كسل امين في نيويورك الى اجتهاد حاد وانقلبت حيوته الجياشة من الطيش واللهو الى المطالعة وطلب العلم. فأخذ يكثر من قراءة شكسبير وكرليل وهكسلي، لكنه ما كان يرتضي بشيء. هاكه يصطدم مع افراد عائلته ولا يستقر على حال، هاكه يورط اباه في مشاكل تجارية عديدة، هاكه ينتقد معلمه ولا يظنه يحسن التعليم فيتركه وينتقل الى مدرسة الحقوق يتعلم فيها سنة كاملة، يرجع في نهايتها الى البيت ليخبر والده ان الشريعة ليست له فعالمها عالم مساوىء وخذلان ولا يرغب في مواصلتها.

ضج الوالد من هذا الشاب ومن عدم استقراره لا سيما عندما جاء يطلب منه مالاً ليتعلم التمثيل. فوقعت مشادة بينه وبين ابيه رفض، على اثرها، والده الطلب فالتحق امين خلسة بفرقة تمثيلية معروفة في الولايات المتحدة وكان ذلك حوالي سنة الف وثمانمئة واربع تسعين (١٨٩٤) اما كيف دفع امين راتب المدرسة، فاليك نبذة من رسالة ارسلها الى والده يخبره فيها ذلك قال.

« .. حينئذ رجعت الى البيت واخذت افكر في المسألة وما زال الفكر يزداد في رأسي لولعي بالتمثيل وحبي له. وعندما راجعتك ورفضت قررت ان اكتب شكاً بمبلغ خمسين (٥٠) ريال ثم ادخلته بين الشكات التي تحتاج لتوقيعك، فقدمته اليك وقلت في نفسي « على نية الرب »، فوقعته وجازت الحيلة وكان سروري بذلك عظيما وبعده اخذته الى مدير الشركة. ارجو ان تسامحني وترسل الي خمسين (٥٠) ريالا اخرى لاجل هذه الغاية ».

ولكنه في ذلك ايضاً كان نصيبه الفشل. فما ان صرف بضعة شهور في التمثيل حتى تركه وعاد الى البيت « كثيباً يحمل كتاباً » على حد قوله، واخذ يطالع بجشع ويكتب احياناً تحت توقيع مستعار.

تعاون الزمن وترف المدينة في نيويورك على ترسيب ثالات هذا الشاب. وقد شاهدنا كيف كانت حياته مترجرجة لا تستقر على حال الى ان بدأ في الكتابة فوجد ضالته المنشودة. مشى يتغلغل في الادب ويطالع كتّاب الفرنجة من اميركيين وانكليز وفرنسيين وكانت معرفته الاولى بالعرب بواسطة اللغة الانكليزية مما حدا به الى الرجوع الى الوطن ليتعلم لغة اجداده وكانت تلك بداية اسفاره المتواصلة بين وطنه وبين الولايات المتحدة. وفي سنة (١٩٠٠) القى الريحاني في نيويورك خطبته الاصلاحية الثورية في التساهل الديني التي كانت فاتحة رحلته الادبية في هذه الحياة، فانفجرت تلك الآراء قنبلة تنسف الكثير من التقاليد والعادات الدينية فحمل يومئذ عليه رجال الدين حملة شعواء. وكان قد نصحه والده قبل ان يلقي الخطاب بالامتناع فلم يفعل فطلب الخطاب منه ومزقه وهدده بحرق جميع كتبه اذا القاه، فقال امين ضاحكاً او تظن ان تمزيقك للخطاب يمنعني من القائه انه ههنا — مشيراً الى رأسه بيده — ولا اتوقف عن القائه الا اذا توقف رأسي عن التفكير. عندها تبين الوالد صلابة العقيدة في ابنه.

وتمر الايام وامين الشاب مغمور بالمطالعة يترجح بين الادب الانكليزي والادب العربي ففي الاول بدأ يحظى ببعض النجاح واخذ في الثاني يستطلع طريقه شيئاً فشيئاً الى ان وجد من نفسه ميلاً ليعمل في الحقلين.

كان امين مسرفاً في شبابه وظل كذلك فيما تبقى من حياته. انيق الملبس يحب الترف والبذخ ويهوى التردد على دور التمثيل — التياترات — وكان يحلو له ان يرافقه الاصدقاء. وان يدفع المتوجب عمن يصطحبه منهم. وفي ذات يوم دعي وصديق له الى حفلة رسمية فتمنع الصديق عن الذهاب لحاجته الى لباس رسمي، فما كان من امين الا ان اشترى له لباساً رسمياً وذهب الاثنان الى الحفلة.

وبالرغم من كل ما كان يتمتع به هذا الشاب من البذخ والاسراف واللهو والرفاه في نيويورك ما كانت هذه لترضيه تمام الرضا فتأسره عن الرجوع الى الفريكة وما كانت الفريكة تشبع

منه هواية الأدب والفن والمدنية لتنهيه عن نيويورك التي اصبحت فيا بعد بغيضة اليه . ربطه ذلك الحب الحلو المرير وتقاسم قلبه وعقله فشطر حياته الى شطرين جعل منه رحالة تستهويه الاسفار الى ان قام برحلته العربية الفريدة التي وضع على اثرها كتابه « ملوك العرب »

وفي سنة الف وتسعمائة واربع (١٩٠٤) رجعت عائلة ريحاني من نيويورك ، وكانت قد فقدت عميدها اباامين ، لتستوطن الفريكة . وظل امين يتنقل بين الفريكة ونيويورك طيلة حياته فبين ان يتزل ثلاث سنين في واحدة منها يرتد فيتزل ثلاثاً أخرى في الثانية وهكذا دواليك الى ان وافاه الاجل.

وان حياته في الفريكة في شبابه وكهولته واخريات ايامه ، كانت حياة مليئة بالاخبار والنوادر. حياة « غنية » بحلقات الادب والاجتماع والفن والسياسة « غنية » بعالم روحي مثالي يصعب على شخص فرد ان يرويها بجدارة وانصاف . على انني ساحاول، لضيق الوقت ، ان اروي لكم بعض ما اعرف .

ترعرع ذلك الولد من صبي لعوب الى شاب ولوع بالادب وبعده الى رجل مصلح اديب. فثار على نفسه ليصلحها اولاً وعلى عائلته ليصلحها ثانياً وعلى المجتمع اخيراً لا آخراً. ومن يقرأ الريحاني لابد ان يقرأ الاصلاح الاجتماعي في جميع ما كتب. اما إصلاحه لنفسه



امين الريحاني وسيدة اميركية

فكان يبدو في نواحي حياته الشخصية الخاصة، في نظامه وادارته وصدقه ، في معاملاته وحيويته وانسانيته. كان يقول ولا يحابي ولا يراوغ ويطلب ولا يمالىء ولا يتزلف . حاول ان يميت فيه جرثومة الحسد وصلابة الكبرياء وشهوة الجشع والاثرة والانانية، فنجح الى حد بعيد يعجز عنه كثير من الرجال. قل وقل جداً ان رأيت الحسد يتأكله . وما شمخ بكبرياء الا على من شك بصدقه واخلاصه وعقيدته. اما شهوة الجشع والاثرة فما تلمست لها اثراً طيلة حياتي معه . لكنه لم يوفق على ما اظن في التخلص من انانية علمه وادبه. وقد تكون تلك الظاهرة التي استدرج والده اليها لتوقيع شك بمبلغ خمسين (٥٠) ريالا طمعاً بدرس التمثيل . قد تكون تلك الظاهرة ، ظاهرة طلب العلم باي ثمن ، رافقته طيلة حياته .

كان يغضب لامور، في نظر عموم الناس ، تافهة جداً ويتغاضى ، بل لا يتحرك لامور اخرى قد تكون في نظر العامة احق بغضبه من غيرها . اليكم مثلاً هذه الحادثة :

كنت احتفظ بمجموعة من قصاصات الصحف التي كتبت عن امين الريحاني في جميع ادوار حياته وما زلت احتفظ بها حتى اليوم. ومرة اتيته ببعضها وفيها مقال شديد اللهجة جاف العبارة قاسيها يحمل عليه الكاتب باتهامات عديدة فما ان انتهى من قراءته حتى قال « سامحه الله » وردد عبارته المأثورة « قل كلمتك وامش» وعندما سألته اذا كان يجب ان احفظ هذه الجرائد المضادة، اجابني أجل ضعها جميعاً في المجموعة فالحكم بذلك للناس لا لنا .



الجناح الغربي من مكتبة امين الريحاني في الفريكة

عرف الريحاني بحبه الجم لوالدته . وكانت الوالدة تقية ورعة بمقتضى الطقوس الطائفية المعروفة . بينما كان امين يعمل بما يوحيه الدين ويحاول اصلاح النفس للوصول الى المثل الاعلى دون التقيد باي من هذه الطقوس . فكان صنواً لوالدته ونقيضاً لها في آن واحد . فما ان بلغت الوالدة العقد الثامن حتى خف سمعها واحياناً كان يفوتها رنين — جرس الكنيسة يدعو الناس الى القداس — صلاة الصباح — فكان اليوم الذي تتغيب فيه عن هذه الصلاة يوماً يحمل الهم والقنوط اليها . وعندما عرف امين بذلك وعدها بانه سيوقظها من ذلك الوقت فصاعداً كلما سمع جرس القداس . وبالفعل مـا توانى قط عن ذلك فيما بعد . وفي ذات يوم بينما كان يوقظها صباحاً لتذهب الى القداس وبينما كنت اراقب هذا المشهد غلبتني ابتسامة لمح فيهـا الشك والسخرية معاً فأثارت من امين النظر ولم تفته مقاصدها . فسألني وما بالك تضحك ؟ قلت اني اعجب منك وانا اعرف من عقيدتك ما اعرف ان تغار على الوالدة هذه الغيرة وانت لا تؤمن بما هي تفعل . فأجـابني وفي لهجته تأنيب : ان الوالدة يا البرت تسعد بهذه الطقوس الدينية افلا يجدر بي ، في الاقل ، ان اساعدها لتتمتع بهذه السعادة وان كنت لا اؤمن بما هي تفعل وان كانت سعادتي انا هي في الابتعاد عن المظاهر .

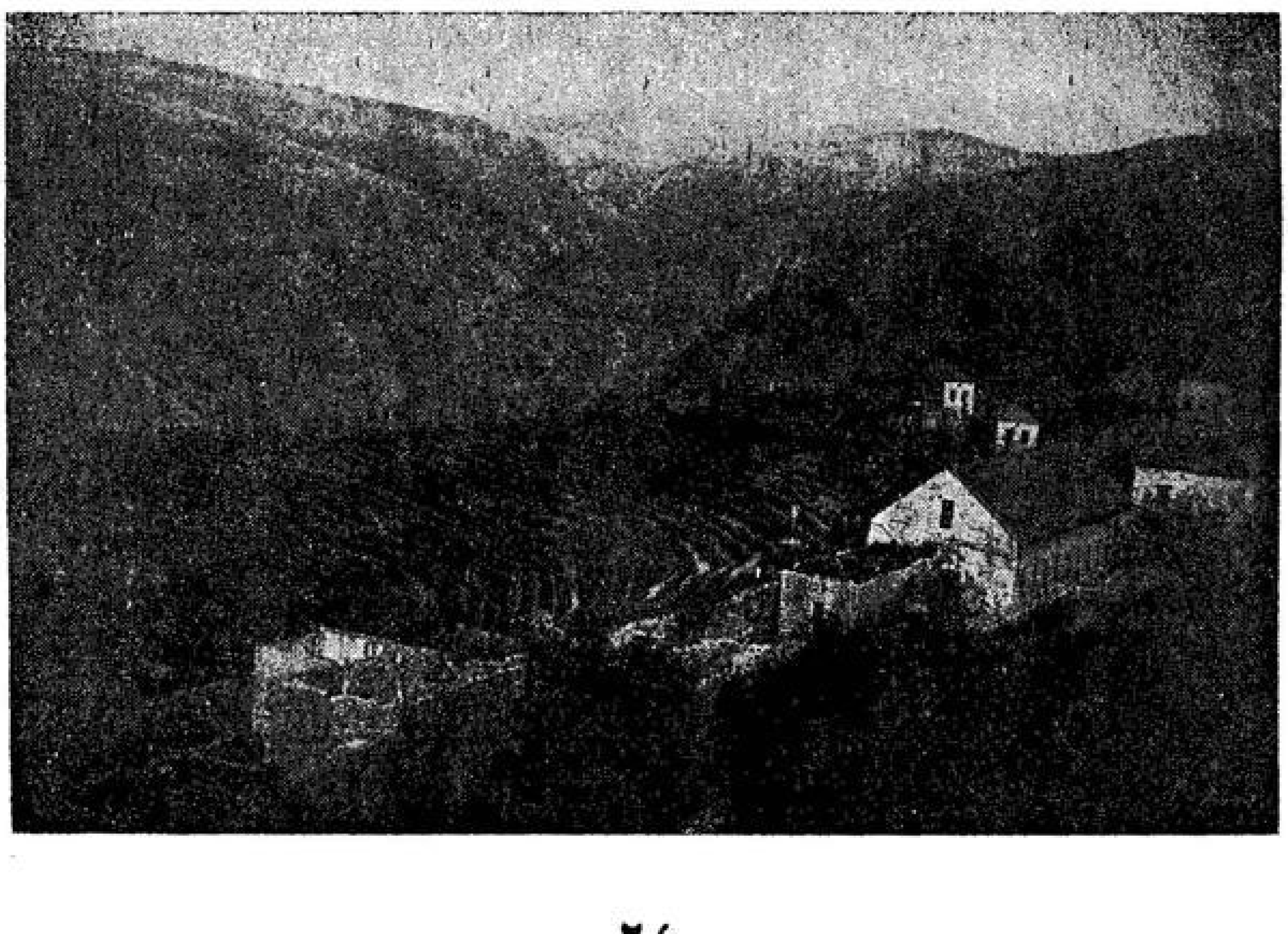
كانت حياته البيتية والعائلية في الفريكة حياة تقاسمها المكتب وساعات الطعام وساعة او ساعتان عند المساء في التنزه مع الطبيعة بين الاحراج والكروم وعلى الطرقات وزيارة الفلاحين والحطابين واهل القرية . وفي المساء يسهر مع العائلة حتى العاشرة او الحادية عشرة او يطالع احياناً الصحف والمجلات وما يتلقى من البريد . وكان يستظهر من محادثة القرويين دروساً بليغة ليستمد منهـا كثيراً من اختبارات الحياة ومواضيعها للكتابة . فكان يستهوي الفلاحين فيحبونه حباً يقرب مـن الشغف وهم بدورهم يستهوونه لصدق آرائهم واختباراتهم الطبيعية . وكان يردد في المساء على مسامع العائلة ما تعلمه منهم وما استفاده بالمطالعة واقتبسه للكتابة . فيقرأ لنا احياناً ما كتبه ليستطلع رأينا بذلك . .

وبقدر ما كان شغوفاً بالناس وبغنى هذه النفس البشرية كان شغوفاً بالطبيعة ومظاهرها الخلابة . فكم من مرة استوقفني ونحن في النزهة ليلقي علي درساً او يقص قصة عن اقحوانة او زهرة عليق او وردة صغيرة صفراء تستظل صخراً جباراً او تنمو على حـافة الطريق واصفاً تلك القوى الخفية فيها وذلك الانسجام البعيد الغور الذي يتناقض احياناً مع مظاهر نواحيها . ولا ينسى ان يربط ما هنالك من دواعي الشبه بينها وبين الانسان .

كم كان للقمر تأثير على نفسيته ! وكم كان للشمس من شعاع انار منه ظلمات تلك النفس الغنية . فكانت آخر كلماته وهو على فراش الموت قوله :

« سلموا لي على الشمس » .

البرت الريحاني



منظر من وادي الفريكة

الوجود والخلاص

الى يوسف الشاروني

بقلم محمد عبنالي

تحاول الفلسفة الوجودية الحديثة ان تجهز على التفكير التجريدي، وان تعبر عن الواقع الآني بانه وتر مشدود بين المادية المحضة ــ والروح الانسانية المطلقة.

ان بروميثوس الالتزام والالحاد، « سارتر »، ونرسيس التجربة الجمالية، فاليري، ومسيح الوجود واعماقه وجاسوس مملكة النفس « جيد »، و« اوديب » الظلمات اليائسة من كل نور ومن كل خلاص، كافكا، هذا من ناحية. ومن الناحية المقابلة، غبرييل مارسيل، وزفايج، وهكسلي وكير كجورد وطاغور وبرجسون، هؤلاء المؤمنون بتفجيرات نفسية، تكاد تكون ذرية لولا يسر تحركها في اعماق الصيرورة النفسية حركة انسجام فلكي عجيب.

هؤلاء جميعاً، وغيرهم من عمالقة الانسانية، يعبرون عن الوثبة الحضارية الحديثة تعبيراً يبتعد عن التجريد قدر اقترابه من الخلاص، ويتفلت من المعطى الخارجي قدر تغلغله في مفهوم الوجود، بل في ذات الوجود.

وليست الحركة الوجودية، بهذا المعنى، جديدة كل الجدة. فالمسيح وجودي من نواح عدة، اصرحها التزامه التجربة، وتمرسه بالواقع، وابتعاده عن روح التجريد، ومعانقته الصلبية للالم. والحقيقة ان يسوع الناصري اشبه الاشياء بفكرة ضخمة مجردة هائلة، احتوت، بصفة قبلية a priori كل عناصر الوجود الخالق، وانجرت شيئاً فشيئاً حتى تركزت في اللحم والدم، فغدت معطى فنياً جمالياً وجودياً مكتملا، بعد ان كانت عدماً من المطلق: فلو اقتصرت حياة الناصري على التفكير الهندسي المجرد، والتعليم بالحرف، او بالكلمة، دون التجربة (اذا صح ان يوجد تعليم بدونها) لما كانت كلماته (وقد اصبحت لاهوتاً فيما بعد) سوى هيروغليفية تافهة المدلول، على جدار التاريخ.

وكل الحركات التي نبعت من المسيحية، او رافقتها مرافقة سمفونية، وكل الرواسب الاغريقية الحضارية والنفسية، التي هاجمت المسيحية او عارضتها، وكذلك كل (الحركات ــ الردود) التي حاولت ان تشير الى اله خارج الانسان، أدت الى تركيز الصراع في العالم الحديث حول مشكلتي الاستثناء والبقاء.

والواقع ان الصوفية المسيحية، او الاسلامية، او الوجودية المتحررة (نيتشه) هي انطواءات تستمر بمعطى تجريدي في حين انها انطلاقات نفسية الى اعماق الوجود الانساني الصرف، ذلك لان شوق الذات الى حقيقتها، هو اكثر دلالة على الفعل الخالق ــ هدف الانسان ومعناه ــ من الفناء والتلاشي في اي خضم خارجي مجهول.

القضية هي اذن قضية الوجود.

ولكن الروح، والعقل، والنفس، وما وراء هذه جميعاً، خضعت، عبر الزمان، لتيارات عاصفة اخاذة، نبعت من تعقيداتها الخاصة، وتفاعل الزمان والمكان والمعرفة، ففرضت المشكلة التشريعية نفسها قبل الغيبيات، وحين جاءت الغيبيات لتحل مشاكل النفس، بدت احداث الوعي النفسي متمردة على الغيب فافترضت المثالية الاغريقية الى جانب هذا، عالماً مثالياً فاضلاً، تلتئم اجزاؤه في اتساق خارجي، سرعان ما عمّق القضية الانسانية وعقدها واطلقها في مطلق من التعقيد حين الهب النفوس طموحاً الى الخير والحق، وتحرقاً الى الجمال.

وهناك .. في البعيد .. كانت تجريدات الهند السلبية تفترض على افق الانسانية، صورة النيرفانا، وتصميم اللامبالاة الازلية.

وحرك صيرورة التاريخ، السارية بعرضها وهدوئها، كنهر من ضباب بطيء، موت سقراط في سبيل قضية لم يمت من قبل في سبيلها. حقاً ان سقراط فعل بالاتجاه العقلي اليوناني، ما فعل ماركس بمثالية هيجل، اى انه اخذها كما هي وقلبها رأساً على عقب، ولكنه ظل معلماً من معلمي الوجود. فكان الارهاص بالمسيحية، على هذا الشكل المباشر القوي، تعبيراً عن التأوج الحضاري والنفسي

والوجودي، المنوع الالوان والاشكال والصور والاعماق، والمنطوي على ثنائية هي هي في الواقع بدء التاريخ الانساني .

وجاءت المسيحية فألهت الالم الانساني والخلاص نهائياً . بعدان حاولت الميتولوجية الاغريقية هذا التأليه، جزئياً . فالحياة الازلية، والعودة الروحية، والتصور اللاهوتي، ليست في ميزان الوجود، غير الانسان، في امتداداته الروحية والنفسية، وتعميقه لآماله ورغباته، وسموه بحياته اليومية سمو الكمال .

الحياة اليومية، الخضم النفسي الداخلي الموار بالانسجام والقلق، الالوهية: هذه مراحل ثلاث تؤدي بالكائن الى الخلاص .

لانه مقدر على الكائن ان يعيش محاولة الخلاص . وفي هذه السطور توضع ملاحظات حول الوجود والخلاص - اي قضية الانسان.

قلت في استهلال الحديث ان الوجوديين يحاولون الاجهاز على التجريد . ليعيش الانسان ما هو الانسان . اي الماهية في اندفاعها الى المستقبل والآن في انثيالة «الفاوستي» المبدع، وهم يجهدون ليعيش الانسان خلقه الجمالي كأكمل ما يتاح للرعشة الفردية، اذ تفاجىء الجمال باللحظة الآنية، وتثبت الحلم في اعماقه، بيهر من الشعاع وتخلد الشكل المكاني بالضوء الخافت، ضوء الانسجام والخلاص.

واذا كان النضال الطبقي نضالا خارجياً، غريباً على الجمالية والخلق، بعيداً عن الصوفية والتأمل، مجرداً من اية شحنة روحية او امكانية هندسية حية، واذا صح ان نفصل الصراع في سبيل البقاء المادي عن الصراع في سبيل المثل الحيرة، وجدنا ان معركة العالم اليوم ليست معركة بين المادية التاريخية والمثالية الديموقراطية، بل هي صراع الانسان المستأله، ضد الوحش، ضد الآلة . او اذا شئت فسمها معركة عهدين متقاربين، من عهود التطور النفساني، فرقت بينهما الثنائية القدرية، والصدف، والمكان، كل هذه الآفات الطبيعية التي يعانيها الفرد، ويختنق تحت كابوسها المجتمع .

وماذا فعل الوجوديون في سبيل الخلاص؟ انهم لم ينفوا العلم كحقيقة خارجية، او التجربة الرياضية كضابط كوزمولوجي، او الاخلاق كوازع نفساني، بل انكروا على العلم سيطرته على الحياة الداخلية النفسية، وارادوا للتجربة معطى روحياً صرفاً، وشاؤوا الاخلاق صادقة لا تحجّر الخارج والماوراء، ابتغاء خنق النفس بهما وتكبيل الوجود.

واريداني اذهب هنا الى ان قضية الخلاص هي قضية الوجود. وان العلم والتجربة الخارجية، والمدنية الآلية، والحدث التاريخي الزمني كائناً ما كان، لا يمس الخلاص من قريب او بعيد . فالوجودية لم تدعِ تنظيم الكون وهندسة العالم كما حاول «باكون» و«كونت» و«كانت». والانسان (وليسمح لي هذه المرة ان اعبر تجريدياً في سياق ما يعد نفياً واستبعاداً للتجريد) اقول ان الانسان لا يزال يمسك، بصفة قبلية، بقدراته النفسية والروحية على الاقل، وهذا الامل هو طريقنا الى التحرر والانعتاق في صعيد الفعل الانساني الحر، والبنيان الحضاري الواعي. ان تطور الاخلاق لم يتناسب مع تطور الآلة والمادة والاستقطاب العلمي - اذا صح التعبير - وان نظرية الكم Quantas وتفجير الذرة، نقلا المسألة العلمية، كما يقول لويس دى بروجلي، الى ميدان ميتافيزي، ايجابي، فاعل، مخيف، بمعنى ان طاقة المادة، وتحريرها، فيه دليل على سيطرة التراكيب المادية على الروح نفسها . خاصة اذا نُظر الى المسألة نظرة حسابية بعيدة، تتصور، وجودياً امتدادات العلم الحديث وتناهي وسائله وآلاته .

ولكن التيارات الفكرية العالمية تتساوق، رغم هذا كله، وتسري في شبه غيبوبة وجودية تتسم بالوان الخلاص الواعي، وحرارة الايمان بالقيم الانسانية، وتتصل اول ما تتصل بتيار النفوس الانسانية الموحد، المنصب في الالوهية الايجابية .

اننا لا نستطيع ان نعيش التاريخ ولا ان نخلق الزمن . فالجبر الآني من مقدرات النفس البشرية وفي مصارعته والتغلب عليه، او محاولة التغلب عليه، تتركز بطولاتها الجمالية ومعايشتها الله، كل الله، مهما انسطح مصيرها، وارعشه هدير الآلة وفي هذا الصراع قصة «اوديب» و«هوميروس» و«مارك أوريل»، وفيه تستبين بطولات باسكال وأينشتين وغاندي. ومن اجله كان الصراع الجمالي بين الاساليب، المنطوي على صراع انساني آخر، فغنى اورفيوس وناحت صافو، ولها النواسي، وارعد المتنبي، وتفرد المعري واغرب بودلير وتحرر .

وبالخلاص، اي بان نعيش وجودنا وتناقضاته، بجرأة وبساطة، تتغلب الذات على الموضوع، ويرتفع العملاق الروحي من القزم الفيزيولوجي والتجريدي ويحي التزوير المُماش، والقلق المجدب والتحويم البابلي، في صفحة كانت مسودة بدبيب «شمهورش»، فاصبحت مشرقة بطغراء المصير المترف الغني .

فاذا اتيح للتجربة الوجودية ان تنجح، اختفت ابالسة المادة وآلات الشر، وسحب الخوف وغابات الحماقة، لتشع شمس النفس الازلية، الفائحة بقلق الازهار، وسريان العبير، وانثيال الآن . هذه الشمس هي شمس الخلاص في الوجود، شمس الانسان.

محمد عيتاني

المسلول

ما لهذا الشاكي من الإعياء وهو في روعة الصبا والرواء
يستثير الاهواء بالألق الفاتن في ذاتـه، وبالازدهـاء
ويكاد الفضاء يغني عن البدر باشراق وجهه الوضاء

***

ما لهُ — بعد بشره — مكفهراً في روابي « المدينة الخضراء »
لم يزده « لبنـان » غير انين وحنين لارضه وبكـاء
انشب السل فيه ظفراً وناباً من رأى الذئب فاتكاً بالشاء
واستمرت معاول الهدم فيه تتوالى فانهدّ اقوى بنـاء
يتلوى من طول صحبة آلام ، ومن طول فكرة سوداء
تتلاقى أجفـانه ذابلات لا عـلى رقـدة ولا إغفاء
كم طوى الليل شاكياً للدراري ان سيغدو مصباحه لانطفاء
فضى يستغيث بالطب آناً بعد آن من شر داء عياء
وعليه طغى التشاؤم حتى بات لم ينتظر سوى الانطواء
كان يرجو له الشفاء ولكن قطع اليأس عنه حبل الرجاء
عجزت عن شفاه معجزة الطب ولم تغن حكمة الحكماء
شربته الُحمى دماً فهو كالنبعة عنها قد جف مجرى الماء
أهزلتـه فمـن رآه ، رآه شبحـاً اودعـوه طي رداء
يتلاشى فكل نفثة صدر هي جزء منه مضى للفنـاء
يستدر الحنان من كل قلب لضحـايا « البلية الحمراء »

***

ليس يجديه ان«لبنان»زاهي الارض،زاهي الهضاب،زاهي السماء
الصبـاح المضفي الاشعة والانوار داج كالليلة الظلمـاء
والنسيم البليل ما هبَّ الا شب ناراً تؤج في الاحشـاء
والعيون التي تجارى تجاري الدمع يهمي عن دمة وطفاء
والنوادي المغردات يراهـا كالقبور الكئيبة الخرسـاء
والفضاء الرحيب اضيق في عينيه من صدر صاعد في الفضاء
والوجوه الصباح تجتاز كالاشباح سوداً امام عين الرائي
والحياة الملأى جمالا يراها اذ يراها كمومس شوهاء

***

لا تشوقُ الحياةُ من لم تذقه غير طعم الخطوب والارزاء
بخلت بالهنا عليه ، ولكن بالمآسي وافته ذات سخـاء
كل يوم بـه يمر يريه كيف تعدو أيامه لانتهـاء
فيجيل العين الكليلة في الاتراب من حوله وفي الاصدقاء
نظراتٌ بصمتهـا قائلات : الوداع الوداع يا رفقائي
إنما نفسي التي خلتموها قطرات فوق الثرى من دمائي
ليس الا يوماً — اذا سمح الدهر — وجودي ما بينكم وبقائي
ما سني العشرون الا جهاد في حياة مرت مرور الهباء
فانثروا الدمع لا الرياحين حولي انه خير ذكريات الوفاء
واذا قدَّس الشهادة قوم فاذكروني في موكب الشهداء
وقفوا وقفة الخشوع على قبري ، وقولوا اذا أردتم رثائي
يا لهذا النجم الذي اتخذ القبر بديلًا من افقه اللانهـائي
عاش في ميعة الصبا ليس يدري غير ما ناب نفسه من بلاء
عاش كالغائين في لجج النعمى ولكنـه من الفقراء
عاش والداء في صراع زماناً ثم امسى مستسلمـاً للداء
وقضى لم تصبه الا سهام الفقر والجهل لا سهـام القضاء

***

فليَعِ القـائمون بالامر اصوات الوف من أنفس الابرياء
وليصونوا اضعافهم عن عوادي الجهل والجوع والضنى والشقاء
وليخفوا — متى أرادوا صلاحاً — لتلافي اوضاعنا الرعناء
وليجيدوا الاصغاء سمعاً وقلباً لنداء اعظم به من نداء
ليس الا صوت الملايين تمليه نفوس الكتاب والشعراء

نزيل لبنان : حماة — محمود الجبولي

تينة الجبل اقوى من الموت

بقلم مظفر سلطان

ارأيت الى شجرة التين، تنبت في الجبل الاجرد، والارض حزن، والصخور كوالح ولا ماء يرويها، ولا ظل يحميها .. ولكنها تناضل وتكافح وتصمد وتعيش.

هكذا التقيت بهيفاء على غير موعد من الدهر، وهكذا نما حبنا اليتيم، يقاوم الاحداث المصممة، ويقتات بالحرمان المرير، ويحيا كأخصب وأعنف ما تكون الحياة.

كنت طبيباً معروفاً حسن الاحدوثة، حاذقاً في علاج الحميات والامراض الخبيثة، وكنت قد جاوزت الاربعين، والشباب قد ولى، والرأس قد اشتعل شيباً ساخراً.

وكنت زوجاً لسيدة وقور ودود استطاعت ان تظفر بمودتي واحترامي على مر الايام ولكنها لم تستطع ان تظفر بحبي في ذات يوم .. وابا لستة اولاد حسان كبراهم قد تسامت على السادسة عشرة، وصغيرهم ما يزال يحبو نحو الثانية.

وكان الحب قد اختفى من حياتي القفر كما تختفي المياه تحت الرمال لا لتضمحل وتفقد .. ولكن لتجتمع وتتربص .. حتى اقبلت هيفاء بشبابها الريان، ووجهها الطفل، وبسمتها الرؤوم فانبجست المياه الحبيسة دفعة واحدة وبكل عزم السنين الخوالي فاذا هي نبع دافق زاخر واذا انا استجيب للحب الجائح كتلميذ شاعر واذا القلب يندفع مع الفيض اللجب كزورق خفيف بغير مجذاف ولا شراع.

في عام ١٩٤٧ كانت البلاد تخوض غمار حرب ضروس مع عدو لدود ما تتطامن شروره ولا يغب عدوانه، وكانت الحميات قد انتشرت واستحكمت وكاد امرها يستفحل ويعز على الجهد الجهيد وكان وزير الصحة عامذاك زميلاً لي في المدرسة الثانوية والجامعية، وما كان منه الا ان زارني في عيادتي ذات يوم، واقتلعني منها اقتلاعاً، وندبني الى رئاسة قسم الحميات في اكبر مستشفى من مشافي العاصمة، ولم يقبل لي في رفض هذا المنصب حجة ولا عذرا.

وقال زميلي رئيس المستشفى وهو يهديني الى القسم وفروعه واطبائه وممرضيه.

— وستجد في الآنسة (هيفاء) خير معين لك في مهمتك الشاقة يا صديقي.

والتفت على غير اهتمام، فاذا هيفاء امامي بكل مفاتنها الحالمة وحسنها الفريد واذا الحب الكامل ينبثق في اعماقي على غير موعد كصورة رائعة اختطفها صاحبها الفنان الملهم اختطافاً فجاءت آية باهرة من آيات الفن والابداع.

واسبلت هيفاء اجفانها الوطف على عينين ساجيتين روّع صفاءهما البعيد ظل من البنفسج عابر، وقالت بصوت عميق كأنه تلاوة في صلاة.

— ارجو ان اوفق الى مساعدة النطاسي الشهير في مهمته الانسانية المجيدة.

واوحي الى ان فصلاً خاملاً من فصول حياتي الرتيبة قد انتهى، وان فصلاً عامراً من فصولها القليلة الباقية قد بدأ.

واقبلت على عملي المرهق في المستشفى بهمة لا تعرف الوهن، مستعيناً بمساعدتي الخطيرة — كما كنت انعتها.

ما احتاج الامر الى مساعدة ومشاركة وما كنت اطلبها الا للامر الجلل، ولا اسألها الا المسألة المبرمة. ثم اخذت احاول البعد عنها كلما احسست اللهفة الى القرب منها. ولكنني كنت كمن يدور في حلقة مفرغة اولها هي وآخرها هي .. وما كنت في

قصة

جهادي للابتعاد عنها الا كن يحاول ان يطفىء الضرم بالكحول ، وكنت منها كالطفل الذي تعاقبه امه فيلوذ بها منها .. وكنت اذا حاولت الهرب منها وجدتني جاداً في البحث عنها . . وكدت افقد اتزاني وجلدي ، فأقبلت افكر في وسيلة حاسمة انهي بها هذه المهزلة الطريفة ، أحشر فيها واسخر لها ، بعد ان بعُد العهد وفات الاوان .

وكانت هيفاء خفيفة رشيقة مدهشة ، تتحرك كالخاطر وتخطو كالنسمة وتقترب كالطيف ولا تكاد تلمحها هنا حتى تراها هناك . دائبة مخلصة كالنحلة الامينة حياتها ابداً سعي وخير ..

وكانت ذكية المعية تغنيها اللفظة عن الجملة واللمحة عن اللفظة ، فاذا ما جئت تقص عليها قصة او مشهداً او حادثاً اوحى اليك نور عينيها الحلو الباسل انها تعرفه من قبل ان تقوله .

وكنت لا افكر في قضاء امر عارض الا رأيتها الى جانبي تنجزه او انجزته . وكأنها كانت اطوع من يدي في الحركة ، واسرع من عيني للنظرة وكأنها كانت في قرارة النفس على اي حال فيكون لها منها الحس والرأي والمضاء . وكنت استنكر بل انكر انها كانت تحبني وتبادلني حباً بهيام على الرغم من الامائر والبشائر ، وعلى الرغم من النظرات المختلسة والشحوب الملح ، وما كنت المحه في عينيها الساجيتين من ومضات روح حسير يرف ولا يطير ..

وشد ما كان يروعني منها ومني انها كانت تشبه ابنتي الكبرى في بعض اللفتات واللمحات ، وفي دلها الحلو وحمقها الفاتن .. فهل احبها واذعن ؟

اجل سأحبها وسأكرس حياتي لهذا الحب العظيم ولكن كابنتي الغالية سواء بسواء .

وكنا في ذات مساء نعمل صامتين ولكن كل شيء بيننا يتحدث ويبين .

وطفح الكيل ووهن الصبر ، وبلغت الروح مداها ، فقلت اسائلها وانا لا انظر اليها بصوت مبهم كصوت النار يدمدم في الموقد في هدأة من الليل .

— وماذا بعد .. بحق السماء .

فردت علي وهي لا تنظر الي بصوت كرجع الصدى .

— كما كان قبل .

فقلت في تهكم محنق :

— فأين يرسو هذا الزورق التائه فيما تعلمين ؟ .

فردت باللهجة ذاتها وهي لا تنظر الي ولكنها كانت تراني جيداً كما كنت اراها جيداً ردت تقول مطمئنة :

— اذا عز المؤئل ، وتوفر الزاد ، وواتت الريح .. فسيان الماء واليابسة .

— ولكن لا بد له من مرفأ وملاذ بالتالي . ام هل تزعمين ان زورقاً امضى حياته عبر البحار ؟

— اذا انقضت الرحلة كما يرجى لها ان تنقضي فسيان قاع البحر والمرفأ الامين .. فكلاهما لو عقلنا مرفأ وكلاهما غاية .

فخلعت القناع ، وقذفت به بعيداً ، وقلت محتداً كما لو كنت انهرها :

— ولكن لا تنسي يا فتاتي انني رجل قد شارف الخمسين ، وانت طفلة في حدود العشرين ، واني كهل بل شيخ منزوف العزم والرجاء . ولي ستة اولاد كبراهم في مثل سنك وحمقك ، ولي زوج بريئة اذا كنت لا احبها فاني احترمها واكبرها بكل ما في نفسي من ايمان .. واللبيب من يقدر موضع خطوته .

فقالت في حزم وايمان :

— اما انك كهل او شيخ او عجوز فهذا يخص دائرة النفوس اكثر مما يخصني .. وما كان لك ان تعلمني كيف ارى الاشياء كما تعلمني كيف اتصرف اذا جاوزت حرارة المريض الاربعين . واما زوجك واولادك فلن اقاسمهم شيئاً ولن اسألك معهم امرا .

وان الموقد العامر ليصطلي به القريب والبعيد ، كل بقدر معلوم ..

فقلت متحدياً . — لو كنت القريب افكنت تبيحين للبعيد ما تبيحين له الساعة ؟ !

— فقالت في مثل ثقتي ويقيني .

— بحسب الجدول النمير ان يروي ظمأ اللاغب الهيمان ، ثم لا ضير ، بل الحق ان يشرب منه الجميع .. وليست السرقة ان تمد يدك الى رغيف جارك فتختلسه فحسب ، بل السرقة ان تمنع جارك الجائع رغيفاً زاد عن حاجتك !

— اي بنيتي الطيبة اذا كنت قد نجحت في مغالطة نفسك ، فما كان لك ان تنجحي في مغالطتي انا الذي اكاد ارد الى ارذل العمر ! وانك لن تعرفي الحق حق معرفته حتى يكون لك .. وهذا مزلق خطر لا بد الا ان نحيد عنه والا فما اخشى ان اكون انا اول المترددين فيه . . .

— حقاً .. فما كان لي ان احضك على امر ، وما كان لك ان تكفني عن صنيع .. الحياة وهم عريق وكلنا يدعي الهدى لاوهامه . . . اما انا فلا اسميه حباً ، ولكنني اسميه ايماناً .. فهل يكف مؤمن عن ايمانه ؟ . . .

— بلى.. اذا كان العابد طفلاً غريراً.. وكان المعبود الهاً من خشب منخور...

***

وخشيت (دائرة الافتاء) الماهرة التي تعشش في نفس كل انسان ان تفعل فعلتها.. ولم اتردد، وزرت الوزير الصديق في ضحى اليوم التالي في مكتبه، وسألته حازماً ان ينقـل عملي الى احدى المحافظات النائية قائلاً :

— وما مقامي هنا وحمى « التيفوئيد » تفتك ثمة بالجند والناس فتكاً وتحصدهم حصداً ؟...

فقال الوزير وهو يحتويني باحدى ذراعيه متودداً :

«يا عزيزي المخلص».. ما عليك الا ان تقترح وما علينا الا ان ننفذ، وليبارك الله في غدوك ورواحك وحلك وارتحالك. ولم اخرج من مكتب الوزير الا وقرار النقل في يدي، ولم اشأ ان اعرج على المستشفى فأسلم عملي فيه الى ربه.. ولتحسب تلك هفوة مني، او غلطة، او جريمة... على ان لا اعود الى المستشفى وأرى عيني هيفاء الضارعتين، وشفتيها المرتعدتين في انتظار الثمرة التي ازهرت دوحتها وما كان لها ان تثمر وعدت الى المنزل عجلان وحشرت بعض المتاع في احدى الحقائب، وأنبأت زوجي المتسائلة في دهشة ان الاخلاص للمهنة والوطن جميعاً يقتضيني ان امضي بضعة اسابيع في محافظة (....) التي تئن تحت وطأة الحمى الخبيثة والداء العضال، وغادرت العاصمة الى مقر عملي الجديد مهرولاً كمن يفر من دار مهجورة تعمرهـا الاقزام والاشباح.. ونجوت...

ولحقت بعملي الجديد بهمة اقوى وعزيمة امضى.. لان عدو الخائف الهارب اسرع من عدوه وهو خلي آمن...

ووجدت الحال كما قدرت لهـا ان تكون فالداء منتشر، والضحايا كثيرة... ولقد اطمأن بي العمل والاعوان والاخوان بعد ايام الا مساعدتي رئيسة الممرضات، فقد كانت حروناً حقوداً شرسة وكانت تتنكر لكل رأي يخالف رأيها، ولا ترى السداد الا فيما تقول وتفعل...

وانشأت تعارضني انا نفسي في امور وتوصيات فنية حري بمن يخالفها في هذا الظرف العصيب ان يعرض صحة الناس بل حياتهم للخطر المحتم والموت المحقق... واصطلحت عليها الشكـاوى والملاحظات، فكتبت الى الوزارة اطلب الاستبدال بها على عجل وانا اتساءل ألاكون قد كرهت هذه المخلوقة كل هذا الكره المستعجل لانها كانت وزميلتها السابقة على طرفي نقيض ؟...

ثم اعود فأجد امثلة جديدة من فسادها وافسادها فأطمئن الى ان الضمير الحي الذي نجوت به من بلدي وعملي وقلبي انما هو حي سليم كريم كما كنت اعهده. فاقرأ واهدأ... واتفانى في العمل وفي التضحية... عليّ ابرأ من خبل الذكرى الملح الذي كان، وما يزال، ولن يبرح، يعارضني ويداورني ويأخذ علي كل سبيل...

وبعد ايام تناهى الي ان المساعدة الجديدة قد وصلت، وان المساعدة القديمة قد تولت فلم الق الى ذلك كبير بال.. فان هي الا ايام او اسابيع ويشفى المرضى والطبيب جميعاً، واستقيل من منصبي واعود الى عيادتي وبيتي واخواني وكأن ما حدث لم يكن الا حلماً مروعاً مر وانقضى كما تمر وتنقضي الاحلام.

وادخلت علي الممرضة الجديدة، ورفعت رأسي ذاهلاً لارى هيفاء امامي بكل شحوبها الحبيب ونحولها الاليم.. فلم ادر ماذا اصنع وأخذت وبهت ولم اجد لساني لاقول به شيئاً، وقالت هيفاء بصوت ساخر خافت بعد ان ابتعد الممرض الذي قدمها الي :

— الكرة الجيدة يا سيدي الفاضل تستمد نشاط عودها من نشاط دفعها.. ولو جربت ان تهرب مني ثانية لرأيتني اتبع اليك من ظلك واقرب اليك مما انا الساعة.

قالت هذا وهي تخلع معطفها وشملتها وتسوي شعرها كأنهـا تعود من نزهة قصيرة!

فقلت في غيظ مصطنـع فضحه الفرح الغامر : — ولكن فعلتك هذه يا بنيتي حماقة كبرى مـا اخالها ستبلغك غرضاً او تنفعك في شيء.

فقالت على الفور وبأسلوبها الجازم الحاسم الذي يعني مايقول.

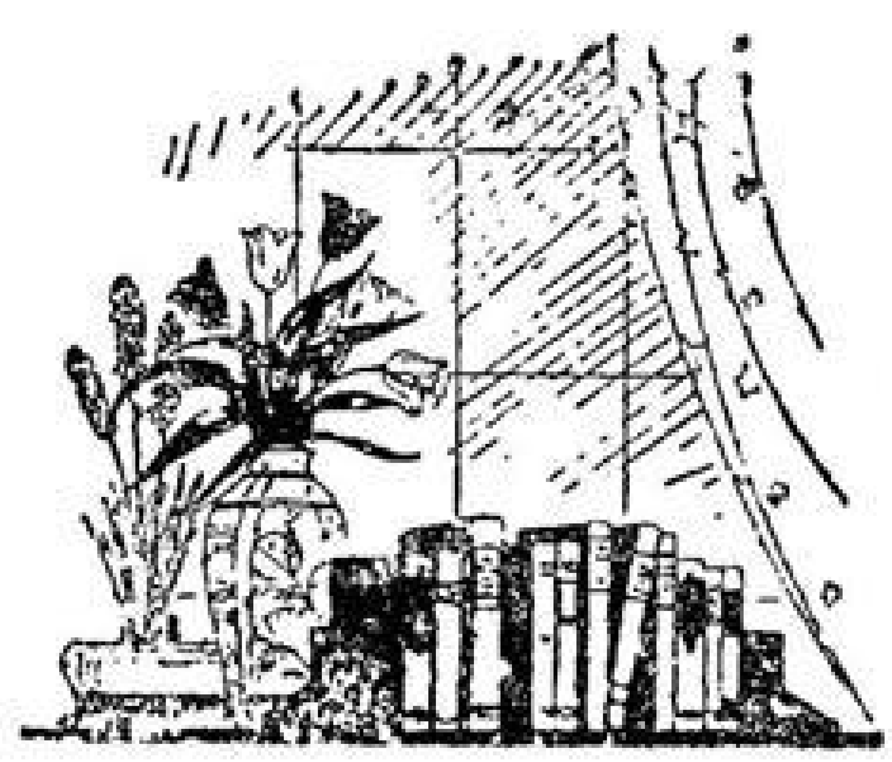
— بل العيش بغير ايمان هو الحماقة الكبرى التي ما بعدهـا حماقة.. وفيمَ يعيش احدنا. يومه كأمسه وغده كيومه وحياته تنقضي كمجموعة التقويم تنثر اوراقها واحدة اثر اخرى ببله فاجع! بل فيم نمنع من الحب وقد اعطينا كل النزوع اليه والقدرة عليه.. ولعله السر في حياتنا المروعة اذا كان لا بد لهذه الحياة من سر تفسر به وتطمئن اليه.. وبعد فانني ما انتظرت شهراً بطوله، وبأيامه البطيئات ولياليه البليدات، وما قطعت هذه الاميال السحيقة اليك لاسمع حكمك الغالية ومواعظك الثمينة.

والآن فهل لك ان تتكرم فتدلني على عملي او تتكرم فتدلني على من يدلني عليه.

***

وغبرت ايام، وكنت كمن يكاد يقتله الظمأ والكأس الروية

الاديب



✡

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريالا

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينيا او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

✡

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون			Tél.
	الادارة : ٤٧ – ٩٢	Direct. : 92 - 47	
	المنزل : ٣٧ – ٤٨	Dcle. : 48 - 37	

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

تحنو على ثغره المحموم ، او كحاجز خشبي تعمل فيه يد الوهن وتلح عليه عزمات السيل .. وانبعث القلب المحروم يطالب بدينه القديم كغريم مصر ، وكانت عينا هيفاء تتوسلان وشفتاها تنتظران واتخذت الخواطر والصور والاشياء جميعاً صورتها وفكرتها ومعناها .. وما انا اول جائر او تائه او ضال فاستسلمت وسلمت.

واشعت بين الخلص من الصحب والاعوان ان خصاماً مستحكماً كان قد نشأ بيني وبين زوجي ، وان قدومي هذه المحافظة كان بسببه وان زواجي من هيفاء حاجة ملحة وضرورة لازمة ، واقتصرت في حفلة الزفاف على نفر معدود من الصحب والاعوان ، وبنيت بها ودخلتها جنة شهية الجنى عبقرية القطاف ولكن أتراني كنت قد أرحت واسترحت ؟ وهل هدأ بي المقام واطمأنت الحال .

ان هيفاء قلقة والهة لا تستقر ولا تهدأ . وما اكثر ما كنت انتبه في هدأة الليل على تنهداتها الحارة ودموعها السواجم تذرفها بصمت حزين يقطع نياط القلوب .. وكنت اسائلها وألح عليها ، وانهرها ، فلا تجيب ، او تجيب الاجابة المبهمة التي تزيد الامر قلقاً وريباً .

ثم بدا لها ان تصارحني بدخيلة نفسها في ذات ليلة فقالت ودموعها تلسع وجنتي وعنقي

انا خائفة .. خائفة الى حد الموت .. فاحمني من نفسي اتوسل اليك ..

فقلت اطمئنها واواسيها . وفيم الخوف .. وممَّ تخافين ايتها الحمقاء الظافرة .

– لعلك لا تجهل ان فرط السعادة يخيف كما لا يخيف فرط الشقاء .. اني اخافك ، واخاف على نفسي ، واخاف عليك من نفسي .. انه الخوف ثم الخوف .. كنت اخاف ان لا اظفر بسعادتي المروعة سعادة العمر اما الآن فانني اخاف ان افقدها بعد ان ظفرت بها .

ثم قالت بغتة وبصوتها الخافت الواثق المؤمن : انني احس بانني سأموت ، وعما قريب ... لا تسخر مني بربك ان قلبي لم يكذبني قط .

فقلت مداعباً وانا انتزع من بين شدقي ضحكة مغتصبة :

– وانا سأموت ايضاً ... وستموت جارتنا العجوز الثرثارة التي تضيقين بها ، وستموت قطة الصيدلي الجميلة التي تحبينها ... وسيموت اناس آخرون لا اذكرهم الساعة ، وسنموت كلنا لزاماً ولكن ليس الآن بالضبط ، بل حين يحم القضاء ويدنو الاجل .. فنامي الآن ملء عينيك يا عزيزتي الحمقاء الخائفة ... وسنبحث في

صبيحة الغد مشكلة موتك هذه وما مداها من المنطق والحق .

ثم استلقيت محاولا ان ابعد عن خيالها الخصب هذه الصور القاتمة.

— بم تشبهين حبنا يا هيفاء. وقد ناضل وكافح ، واستمات فماش؟

فقالت بصوت شجي لا اخال صداه سيفنى من مسمعي ولو عمرت الف عام والابد بطوله :

— انه يتيم مسكين ظفر بالثوب الجديد ليلة العيد بعد برح يأس وطول انتظار ..

فقلت بصوت حالم ، والوسن يعود فيداعب جفني بأنامله الساحرة .

— بل انه بشجرة التين الشديدة المراس اشبه ، تنبت على سفح الجبل الاجرد ، والارض حزن والصخور عوابس ولا ماء يرويها ولا ظل يحميها .. ولكنها تناضل وتكافح وتصمد وتعيش انها تستحق الحياة لانها قاومت الموت .

فقالت لمياء بالصوت الشجي العميق ذاته .

— ولكن افتراها تنتصر عليه ؟ .. ومن ذا الذي اعطى الخلود كاملاً فتعطي هي بعضه ؟.

***

حقاً وما كان لقلب هيفاء العظيم ان يكذبها قط .. فقد اصيبت بعد شهر وبعض مثله من زواجنا بالحمى الخبيثة التي كنا نغالبها فنغلبها معاً .. وطارت النفس شعاعاً وتمزق القلب بددا .. ولم اترك علاجاً ولا كتاباً ولا طريقة ولا مشورة طبيب او غير طبيب الا اتبعتها وجربتها، وسهرت عليها ولكن دون جدوى ولا غناء .

وفي اصيل ذات يوم حقنتها الحقنة الاخيرة الفاصلة وانا اغمغم !

— انا اله .. اله حقاً ولكنني لست اكثر من إله مصنوع من خشب منخور ، والا لكنت املك لهذه المسكينة شفاء او املا .

ولبثت انتظر النتيجة الرهيبة كمن ينظر اجله لا اجل مريض حبيب بين يديه . وفتحت هيفاء عينيها العميقتين كأنها تطلان على عالم آخر وقالت بصوت لا يكاد يبين :

— لم يكن بدعاً بكاء اليتيم المسكين ليلة العيد فقد جاءوا ينتزعون منه الثوب الجديد صبيحة يوم العيد نفسه .. وراحت في غيبوبة بعيدة اسلمتها الى منيتها الراصدة بعد دقائق .

وتشاء الظروف القاهرة التي لهت بابداع هذه المهزلة الفاجعة حيناً من الزمن ان يفتح باب الغرفة وتدخل زوجي قادمة لساعتها من السفر ، وتقترب بوجه جهم فيه صدى كالح لكل ما جاء في كتبي القليلة اليها من غش وتضليل ولكنها ما تكاد تلمح الصبية المسجاة على الفراش الناصع ، وما تكاد تحس جمد الموت الخانق يهيمن على جو الغرفة حتى تهدأ وتنكمش .. كالموجة الصاخبة تقبل محنقة مزبدة ، ثم ما تكاد تدنو من الشاطىء الحليم حتى تقر وتهدأ ..

وتبعث هيفاء الى مقرها الاخير وقد شل الحزن الفادح لساني عن النطق وعيني عن الدمع، وخاطري عن الحركة .. وعدت مع زوجي الى العاصمة في اليوم ذاته وقد تركت البيت الصغير الذي اثثته على عجل الى صديق لي يبيعه او يهبه او يحرقه او يفعل به ما يشاء على ان لا يكتب الي في امره .

واضافت زوجي مكرمة جلى الى مكرماتها السالفة فلم تشر الى الموضوع بكلمة . وعدت الى عيادتي واطفالي ومعارفي. كمن يعود من سفر بعيد اثر حادث فاضح واقبلت على عملي من جديد كشبح مبهم تسوقه قوة العادة والاستمرار . وفي ذات مساء وبينما انا وحدي في العيادة وقد انفض المرضى ولم يبق الا الممرض يهوم على احد المقاعد تذكرت غلافاً صغيراً كانت هيفاء قد استودعتنيه وهي في ساعاتها الاخيرة ففتحته بلهفة فاذا فيه مذكراتها الوجيزة كتبتها بخطها الانيق منذ اليوم الاول الذي التقينا فيه حتى اليوم الذي سقطت فيه اسيرة الحمى طريحة الفراش وقرأت المذكرات العجلى على عجل ، وحينذاك فقط ادركت اي حب عظيم كانت تكنه لي هذه الشهيدة الغالية . واي خوف قاصم كان يعصف بقلبها الملهم ضنا بسعادتها الغالية .

ولمحت بين الاوراق ورقة عليها رسوم فتبينتها فاذا منظر معروف لسفح جبل اجرد والارض حزن والصخور عوابس ، وتينة الجبل قد ارتفعت في هذا الجو الشحيح تصارع الانواء وتناضل الحرمان وتنتزع الحياة من يد الطبيعة الضنينة انتزاعاً وقد كتبت تحتها بخطها الحبيب « تينة الجبل » اقوى من الموت ...

اي بنيتي الشهيدة . لقد كان الموت اقوى مني ومنك واويلتاه .

ولكن حبك كان اقوى من الحياة واقوى من الموت .. واذا كانت الارض قد استرجعتك الى احضانها القاسية فذلك شأنها تلك المرابية الازلية الخالدة التي تعطينا كل شيء لتأخذنا بالتالي وتأخذ منا كل شيء ..

وقمت فأغلقت العيادة ، ومضيت هائماً على وجهي كثور الساقية يدور ويدور وليس يدري اين المبدأ ولا اين المصير .

درعا - سوريا

مظفر سلطان

يأس

●

جئت .. تسترق قلوب التلال .. وتنحر ادمعها في التراب
وتستفّ في الرمل لفح الهجير .. وتنزع مجنونة للسراب
وتصرخ من فجة البائسين : لقد طال يا رب .. هذا العذاب.!

فأصغت لها كل سوسانة قضت مثلها في ربيع الشباب
جراح العبير على كأسها مضرجة وحشة واكتئاب
وأحلام عالمها في الثرى تراتيل ترجي الصدى في خراب
وصاحت بها يا ابنة الخالدين منال الخلود برهن الصعاب
بنا مثل ما بك من ضجة وفينا كما فيك هذا المصاب
عبدنا الحياة وقلنا لها . لنا المُثل الطاهرات الثياب
فلما زهونا بها عفة تردت بنا في جحود التراب.

***

فقامت تلم بقايا القوى على هيكل مضمحل الاهاب
وتسحب انغامها النازفات وتقلع خطوتها باغتصاب
الى ان محاها شفيف الفضاء واغوت هداها الفيافي الرحاب
تساقط ثورتها في الرماد وتعشو بصيرتها في الضباب
وقد جمد الكون في نبضها وغاض الجمال بقفر يباب

***

وأين مضت في غيوم الظلام ؟ الى الخلد . ؟لا .. بل سحيق التباب
..مصير الذي فجّ في نفسها مغاور يأس عتيّ الرغاب
تسائل عن ذاتها في القبور فتهتف ديدانها بالجواب
ومن حولها .. كل ما حولها ضجيج ضُياع . .وصمت غياب

عدن لطفي جعفر امان

النزعة الانسانية في الادب العربي الحديث

بقلم صالح جواد الطعمة

ليس أحرى من الشرق ، بحمل هذا المشعل

نعم .. ليس احرى من الشرق ، مكان ، يشرق فيه الادب الانساني ، الدين الثاني للبشرية ، فيذيع النور المستمد من تعاليمه السابقة « ليقف من جماح الغرب المعتز بعقله ، لان من يرقص حول البركان ، لا يأمن ان يجرفه البركان .. وهذا الادب يقوم على محبة للحياة مطلقة ، ومحبة للانسانية بدون تقسيم ».

لقد آن لنا ان نلجأ الى الادب ، بعد فشل السياسة، لخلق عالم جديد ، يشيع فيه الامن والسلام والطمأنينة . ويعيش ابناؤه احراراً سعداء ، في ظلال ما يشيع فيه ، من امن وسلام وطمأنينة .

ولعل الاستاذ خليل هنداوي لم يعد الصواب في مقاله « هل ينقذ الادب الانسانية[1] ؟ » عندما قال « ان الذي يتأمل في ادب ما قبل هذه الحرب يدرك اي دور مثله على مسارح الامم المختلفة . فأدب الامم الديمقراطية يذود عن الديمقراطية ويدافع عن حرية الفرد بما في وسعه ان يدافع ، والادب القومي جعل الهاب الشعور القومي غايته ، والادب الانساني الذي يتجرد من كل هذه العوامل ، عوامل الزمان والمكان ، والذي يعانق الانسانية من اقصاها الى اقصاها على اختلاف نزعاتها ، قد طغت عليه الازمات القومية والاجتماعية التي زادت الهوة - ما بين الامم - اتساعاً ، وهل كان الادب في الدكتاتوريات الا ادباً ، ضيق الفسحة ، قريب الغاية ، سليب الحرية لان اصحابه جعلوا منه وسيلة للدعاية القومية ، والسياسة القومية تهيج ارواح الشعوب بهذه الفقاقيع العاطفية التي ذهب ضحيتها شعوب وبيوت ومدن ، معتمدين ان الادب ذو رسالة قومية قبل كل شيء ، ولكن بئست الرسالة القومية القائمة ، على التناحر والانانية اذا لم تستمد روحها من الرسالة الانسانية » .

وأنا ، كانسان له حرية الرأي ، لا انكر الادب القومي ، ان يدعو الى تحرير الامة ، وتوجيهها الى ما فيه الخير والهناءة والحرية وان يخلق جيلاً جديداً له من الايمان بحق الحياة الحرة السعيدة ، ما يجعله قادراً على الدفاع عن اعز حق له في حياته .

لا .. انا لا انكر هذا الادب القومي ، بل اعترف اننا بأمس الحاجة اليه ، في هذه المرحلة الخطيرة التي يمر بها الوطن العربي الاكبر ، من مشرقه الى مغربه .. انا لا انكر هذا الادب لانني أومن بانه ادب انساني يريد ان يحرر امة من قيود ، وينقذ شعوباً بريئة ، من شقاء وعذاب .

ولم يخطىء الاستاذ خليل هنداوي ، حينما ذهب الى ان الادباء الانسانيين انفسهم الذين بشروا بالدعوة الانسانية ، والادب الانساني ، هم قوميون قبل ان يكونوا انسانيين ، لان الذي لا يتاح له ان يحس بآلام شعبه الذي هو من دمه ولحمه ، لجدير به الا يحس بآلام الانسانية . ولكن هؤلاء الادباء القوميين الانسانيين ، لم يشاءوا يوماً ما ، ان يسعدوا شعوبهم على شقاء العالم . بل احبوا لشعوب العالم ما احبوا لشعوبهم ، لانهم يؤمنون بانه ليس من سعادة لانسان ، على شقاء انسان آخر .. ولانهم يؤمنون ، بأن الآلام التي يعانيها شعب في اقصى الشرق ، تشع على الشعوب في الغرب اسى وآلاماً .

نحن بحاجة ماسة الى ادب انساني ، يبتغي سلامة العالم وخيره وسعادته ويدعو الى المحبة المتبادلة بين شعوبه ، والالفة التي تربط الشعوب ربطاً قوياً .

وقد حاول الاستاذ عيسى ابراهيم الناعوري[2] ان يحدد بعض التحديد المعنى الذي نقصد اليه بلفظ « النزعة الانسانية » فيما يلي :

(١) مجلة « الاديب » البيروتية - تشرين الثاني ١٩٤٥

(٢) الاديب شباط ١٩٤٦

«نشر المبادىء السامية، والمثل العليا بين الناس بالدعوة الى الاخاء الانساني العام، ومحاربة النظم التي تباعد بين الانسان واخيه الانسان والعمل على خلق مجتمع انساني امثل، يسوده العدل والرحمة والمحبة والاخوة الصادقة».

ولعلنا لا نضل السبيل ، ان جعلنا ينبوع هذه الانسانية الثر ، الادب المهجري ، وقد لا يكون وجود النزعة الانسانية في هذا الادب ، باعثاً على الاستغراب لان اخواننا المهجريين عاشوا في مجتمع عالمي يستقبل افراده من مختلف انحاء العالم ، فيجب ان تسوده المساواة والعدالة ليتحقق الانسجام بين هذه القوميات المختلفة والاديان المتباينة . . فكان لزاماً ان يبعث أدب ، يتغنى به كل لسان ، ويرتاح اليه قراؤه ، من كل لون بشري ، ودين

وقد يكون الاستاذ سلامه موسى على شيء كبير من الصواب حينما يذهب الى ان « الانسان لا يمكن ان يعد اديباً في الطبقة الاولى، في مثل هذه الظروف العالمية، ما لم تتجاوز همومه وطنه، الى البشر كافة . . لان الادب كالدين يجب ان يتجاوز الحدود الوطنية»[1] .

وقد وجدنا من ادبائنا المهجريين ، « ايليا ابو ماضي » يحاول ان يشيع التفاؤل في قرائه ويدخل الطمأنينة الى نفوسهم المتألمة ، وما احوجنا ، ونحن في غمرات الالم والتشاؤم والاضطراب ، الى من يعيد لانفسنا الثقة بها ، والتفاؤل امام مآسي الحياة ومشاكلها . . والشعور بالطمأنينة الآمنة :

أحلم الناس في الحياة اناس عللوها فأحسنوا التعليلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه لا تخف ان يزول حتى يزولا

ويقول ايضاً :

أنت للارض اولاً واخيراً كنت ملكاً او كنت عبدا ذليلا
كل نجم الى الافول ولكن آفة النجم ان يخاف الافولا[2]

واسمعه في قصيدته « كم تشتكي ؟» ، كيف يحاول ان يخلق جواً يسوده المرح والسعادة ليواسي هذا الشاكي :

كم تشتكي وتقول انك معدم والارض ملكك والسما والانجم
ولك الحقول وزهرها وأريجها ونسيمها والبلبل المترنم
والماء حولك فضة رقراقة والشمس فوقك عسجد يتضرم

***

هشت لك الدنيا فمالك واجماً وتبسمت ، فعلام لا تتبسم
ان كنت خسراناً لعز قد مضى هيهات يرجعه اليك تندم
او كنت تشفق من حلول مصيبة هيهات يمنع ان يحل تجهم
اوكنت جاوزت الشباب فلا تقل شاخ الزمان ، فانه لا يهرم
انظر فما زالت تطل من الثرى صور تكاد لحسنها تتكلم
ما بين اشجار كأن غصونها ايد تصفق تارة وتسلم

حتى يقول :

صور وآيات تفيض بشاشة حتى كأن الله فيها يبسم
فامش بعقلك فوقها متفهماً ان الملاحة ملك من يتفهم
اتزور روحك جنة فتفوتها كيما تزورك بالظنون جهنم
وترى الحقيقة هيكلاً متجسدا فتعافها لوساوس تتوهم ؟!

ارأيت كيف يحاول ان يواسي هذا المجروح المتألم ، فيخفف عنه وطأة الجرح والالم . . لان الشكوى لا تعيد اليه راحة ، بل تزيد في الطين بلة ، كما يقولون . . واصغ اليه في قصيدة «ابتسم» :

قال : السماء كئيبة ؟ وتجهما قلت : ابتسم ، يكفي التجهم في السما
قال : الصبى ولى ! فقلت له ابتسم لن يرجع الاسف الصبى المتصرما
قال : العدى حولي علت صيحاتهم أأسر والاعداء حولي في الحمى ؟!
قلت : ابتسم لم يطلبوك بذمهم لو لم تكن منهم أجل واعظما
قال الليالي جرعتني علقماً قلت : ابتسم ولئن جرعت العلقما ،
فلعل غيرك ان رآك مرنماً طرح الكآبة جانباً وترنما !

اية انسانية في هذا البيت الاخير : « فلعل غيرك . . » يحمل على اعجاب بالغ لم يعبر عنه « الناعوري »[3] فقط . بل هو تعبير الملايين من البشر المتطلعين الى الاساة .

وفي رائعته « الطين » ثورة انسانية خالدة، على هؤلاء المتكبرين الذين يضعون اصابعهم في آذانهم ، لئلا يسمعوا أنات الاشقياء ، ونواح المعذبين :

نسي الطين ، ساعة ، أنه طين حقير ، فصال تيهاً وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرد :
يا اخي ، لا تمل بوجهك عني ما انا فحمة ولا انت فرقد
انت لم تصنع الحرير الذي تلبس واللؤلؤ الذي تتقلد

***

انت مثلي ، يبش وجهك للنعمى ، وفي حالة المصيبة تكمد
أدموعي خل ودمعك شهد وبكائي ذل ونوحك سؤدد ؟!
فلك واحد يظل كلينا حار طرفي به وطرفك ارمد
قمر واحد يطل علينا وعلى الكوخ والبناء الموطد

ثم انظر الى هذه السخرية الجميلة بكبرياء الاثرياء :

الك القصر دونك الحرس الشاكي ، ومن حوله الجدار المشيد
فامنع الليل ان يمد رواقاً فوقه والضباب ان يتلبد
وانظر النور كيف يدخل لا يطلب إذناً ، فماله ليس يطرد ؟!

اي كبرياء جوفاء ، يزيح « ابو ماضي » عنها الستار ؟! انه يمضي ، على هذه الشاكلة ، في قصيدته الطويلة « الطين » ، بيديه المعول ، يهدم شموخ المتغطرسين .

ولك ان تمعن في هذا الخلق النبيل ، الذي تعبر عنه قصيدته « انا » لا سيما حين يقول :

يأبى فؤادي ان يميل الى الاذى حب الاذية من طباع العقرب

---

(1) التجديد في الادب الانجليزي الحديث (سلامه ص ٧٦)

(2) ايليا ابو ماضي (نجدة فتحي صفوة) ص ٨٠

(3) الاديب شباط ١٩٦٦

لي ان ارد مساءة بمساءة لو انني ارضى ببرق خلّب
حسب المسيء شعوره ومقاله في سره : يا ليتني لم اذنب
اني اذا نزل البلاء بصاحبي دافعت عنه بناجذي وبمخلبي
وشددت ساعده الضعيف بساعدي وسترت منكبه العري بمنكبي
وارى مساوئه كأني لا ارى ، وارى محاسنه وان لم تكتب
والوم نفسي قبله ان اخطأت واذا اساء الي ، لم انعتب !

ما انبلك يا ابا ماضي! انك تأبى ان تؤذي أخاك الانسان، لان الاذى من شأن من لا يملك من الانسانية شيئاً ! ثم لا تكتفي بهذا ، بل تعرض اعراضاً تاماً عن رد الاساءة الى صاحبها ، لانك مؤمن بان ردك لا يؤثر فيه قدر ما يترك فيه اعراضك من تأثير يؤلمه ويؤنبه ، فلا يعود الى الاساءة من جديد ! .

ما احوجنا يا ابا ماضي الى ناس يعترفون بفضائل اصدقائهم ومحاسنهم قبل اعدائهم ، ولكنك تأبى ان تكون من هؤلاء الناس فقط ، بل تطمح الى ابعد من هذا ، الى ان تغض النظر عن مساوىء الناس وان كنت تراها واضحة جلية . . وبعدئذ ماذا ؟ تحطم هذا الغرور الاجوف الذي يدفع الانسان الى انكار سيئاته وعدم الاعتراف بها . . فتلوم نفسك — ما انبلها ! — ان اخطأت !

***

ولو قرأت « الحكاية الازلية » — وهي قصيدة طويلة لايليا ابي ماضي — وجدت كيف يحاول ان يجعل حديث ابطالها، حديثاً انسانياً سامياً ، يسترعي انتباه القارئين المتمعين فيه . . وهذا شأن حملة الرسالات يعكسون عناصر رسالاتهم ، فيما يكتبون . . وهل الانسانية الرفيعة الا عنصر متين من عناصر رسالة « ابي ماضي » الشعرية ؟ ! فتأملها في حديث هذه « الجارية » التي تمثل دوراً من ادوار القصيدة المذكورة :

وسكتت ، فصاحت الجاريه باكية من بؤسها شاكيه
ذنبي الى هذا الورى خلقتي فهل انا المجرمة الجانيه ؟ !
ان اخطأ الخزاف في جبله الطين ، فأي ذنب للآنيه ؟ !
اليس من يسخر بي يزدري بالقوة الموجدة البارية ؟
لو كنت حسناء بلغت العلى فللجمال الرتبة العالية
وبات من اسجد قدامه صاغرة ، يسجد قدامية
فانني في ملأ ظالم احكامه جائرة قاسيه
ليس لذات القبح من غافر وفيه من يغفر للزانيه !

ما اقساكا ! حقاً ان حياتنا لا تقوم الا على المنفعة ، بل على الانانية بصورة اخرى ، فنحب الحسناء لحسنها فقط ، ونكره القبيحة الهريئة لقبحها فقط ، متجاهلين الفرق بين الحسن والحسناء ، والقبح والقبيحة ، فالحسن في حد ذاته يستحق الاعجاب والتقدير ، اما الحسناء فليست، كالحسن ، يلزم تقديرها والاعجاب بها ، ما لم تتوفر فيها عناصر جديرة بالتقدير والاعجاب .

والقبيحة الهريئة ، كم تلاقي من الكره والاعراض ، والسخرية ، وهي لم تجن اثماً ، ولم تكن على القبح راضية ، انما خلقت ، على هذه الصورة ، وليس لها من يد في هذا الخلق حتى تقابل بما اعتدنا ان نقابلها به .

فلا غرابة بعد هذا ، ان تثور جارية « ابي ماضي » هذه الثورة التي آن ان تطوح بالظلم البشري .

ثم ماذا ؟ . . هذا الصعلوك . . حتى صعلوك ابي ماضي قد تعلم منه انسانيته ، وتهذب على يديه تهذيباً سامياً يغبط عليه ، فاستمع اليه كيف يغني :

واقبل الصعلوك مسترحماً في مقلتيه شبح اليأس
يصرخ يا رباه حتى متى تحكم الموسر في نفسي
وتضع التاج على رأسه وتضع الشوك على رأسي
ويشرب اللذات من كأسه واجرع الغصات من كأسي
وتنجلي الشهب في ليله ضاحكة كالغيد في عرس
ويتوارى في نهاري ، السنى او يتبدى خانق الشمس
يا رب لا تنقله عن انسه وانما انقلني الى الانس

ارأيت الى هذه الانسانية الرفيعة ، الواضحة في دعاء البيت الاخير ؟! ان هذا الصعلوك لا يدعو ربه ان ينقل الموسر عن أنسه ، بل ان يعد له مثل اسبابه .

ونكتفي بهذا الحد من انسانية ابي ماضي ، لننتقل الى زميل آخر . . من المهجريين ، الشاعر « نسيب عريضة » ، لنبصر هذه

الثورة الهادئة على هؤلاء الذين يحبون نضير الزهور ، ويعرضون عن الزهرة الذابلة :

لماذا نحب نضير الزهور ولا نعشق الزهرة الذابلة ؟
اعدلا نود الحياة بها ونتنسى معانيها الزائلة ؟ !

اية التفاتة رائعة الى هذا الحب الخادع الذي نوليه لتلك الزهور العاطرة ، حتى اذا ما امتصصنا رحيقها المسحور ، تركناها تحت اقدامنا ، ذابلة .. لا نعيرها حباً لاننا اعتدنا ان نحب متى ما وجدنا في المحبوب ما يفيدنا . او ليس هذا الحب هو « الانانية » وهو « الاثرة » الممقوتة ؟! ثم الا ترى معي في سؤال « عريضة » « اعدلا نود الحياة بها وننسى معانيها الزائلة ؟ » دعوة الى الايثار الانساني ؟!

لنصغ اليه يستمر في ثورته الهادئة :

لماذا نود ابتسام الثغور ونعرض عن دمعة هاطلة ؟
لماذا دموع الفقير تسيل وعنها عيون الورى غافلة ؟
تمر الرياح فتعرض عنها وترمقها الشمس كالجاهلة
وان هطلت دمعة للندى تمانقها النبتة المائلة
وتبدي لها الشمس والريح عطفاً كممشوقة في الحشا نازلة ؟

وهكذا ترى كيف يحاول « عريضة » ان يصور لنا الظلم والانانية في نفوس البشر ، ابشع تصوير ، لعل في بشاعة هذا التصوير ما يرد الانانيين والظالمين ، عن انانيتهم وظلمهم !

وفي قصيدته « الشاعر » يجدد لنا الشاعر الانساني الذي نريده في غمرات المحن والآلام :

ايها الشاعر الالهي انشد لصغاة يرون فيك الكرامة
عن فقير يموت جوعاً واخفوا عنه في مخزن الغني طعامه
عن قيود حقيرة ضاع فيها عيش بوءس ، فما عليها علامه
عن قلوب كسيرة ، حاملوها سئموا العيش ، خيبة وندامه
عن شجاع بالحق جاهر قوماً فأهانوه وابتغوا اعدامه
عن سجون ، مدافن للكرامة عن قصور ، مواخر للامه
عن قيود ، شرائع كاذبات هي في الحق للفساد دعامه

وتلمح هذه الانسانية الرائعة في شعر « ندرة حداد » شاعر آخر من شعراء المهجر ، عندما يقول في قصيدة « سر معي »[1] :

وسأرضى خبزك الاسود ، في الحب ، وملحك
وسأنسى جرح قلبي كلما شاهدت جرحك
وارى ليلك ليلي وارى صبحي صبحك
واذا اخطأت نحوي فأنا الطالب صفحك !

أرأيت هذا الانسان الذي يخنق أنينه الصاعد ، من جرح قلبه عندما يلمح أخاه مجروحاً .. كي لا يزيد جراح اخيه ! وكيف يأبى الا ان يشاركه آلام اخيه ما دامت هنالك آلام .. ثم يريد منه ان يشترك معه في افراحه ؟

ويقرر في قصيدته « يا نفس » ان :

لا تفرح النفس الكريمة ان رأت اختاً حزينة
فابكي مع الباكي ، ومدي للضعيف يد المعونة

وفي قصيدته « بعد ان تنطوي خيام العشيرة[2] » نحس بعطفه ورحمته ، تجاه الفقير ، ونحس بثورة على هذا البخيل الذي يمر بالفقير خطفاً ، ولا يبسط له كفاً ، حينما يسأل نفسه ان لا تذم ميوله وشعوره .. لانه بلا وجدان ، فما جدوى الذم ؟ !

ان رأيت الفقير يحتر ضعفاً سائلاً من يمر ، عوناً وعطفا
ورأيت البخيل يجتاز خطفاً لا يبالي وليس يبسط كفا
لا تذمي ميوله وشعوره
فهو بلا وجدان !
ان رأيت الفقير اضناه جوعه وتوارى من الهموم هجوعه
وانحنى ظهره أسى وضلوعه ومن السقم ، انكرته ربوعه
شاركيه بدمعة مستورة
من قلبك الريان

ووصية ازجاها الى ابنه وليم ، لا زلت اشعر بصداها الخالد يتردد في مسمعي ، ويرددها ثغري بكل اعجاب وتقدير :

كن دواء في الورى اياك ان تغدو داء

وتلفت ندرة حداد — طيب الله ثراه — الى عالمه ، فلم يجد للمحبة أثراً بارزاً ، في نفوس ابناء هذا العالم ، فعبر عن هذه الخيبة في قصيدته « الحب دين الله » :

ما اجمل الدنيا لو ان بيوتها تبنى بلا عمد ولا اطناب
تبنى من الحب الذي لا يشتكي اصحابه من مالك او جابي
الحب دين الله فليك ديننا في كل كارثة وكل مصاب
فالبيت ان نأت المحبة ساعة عنه ، غدا بيتاً بلا ابواب
لا تسألوني من حبيبي بينكم فجميعكم ان تسألوا احبابي

ولم يكتف شاعرنا بهذا التعبير عن خيبته ، بل سخط على هذا المجتمع البشري ، وآثر ان يتجه الى الغاب « حيث الظبا ترعى ، وحيث الطير تعلو الشجر » لينشد ما لم يجده عند الناس .. انه الحب .. ولم يعش في حذر ، بين ارجاء ذلك الغاب .. فليس فيه انسان حتى يجد في صحبته كل الحذر ، ولم يتق اخطار الغاب ، لان الخطر حيث كان الناس .. فعثر على ما كان ينشده — في اخوانه البشر — عثر على الحب في البهم فتمنى لو كنا كالنمل او كالطير او كالبقر .. ولندع ندرة — نفسه — يحدثنا عن الغاب في قصيدته « ويدعونه الحب » :

فتشت في الناس على ضائع عرفته بالسمع لا بالنظر
يدعونه الحب وكم جاهل مثلي يظن الحب بين البشر

(1) اوراق الخريف — ديوان ندرة حداد — ص ١٧

(٢) المصدر نفسه ص ٥٢

فتشت عنه طول عمري فلم اجد له في الناس ادنى اثر
فرحت نحو الغاب حيث الظبا ترعى، وحيث الطير تعلو الشجر
انشد ما في الناس قد فاتني كعاشق ينشد خلا هجر
لا حذرا امشي، فاني ارى من صحبة الانسان كل الحذر
لا اتقي اخطارها عالما بأن حيث الناس حيث الخطر
فجلت فيا بينها مدة عرفت ما قد كان عني استتر
الحب، في البهم، جلياً يرى والحب فينا لا يراه البصر
فقلت في نفسي الا ليتنا كالنحل او كالطير او كالبقر

ويحسن بنا، ونحن على نهاية هذا الموضوع، ان نتطرق الى الدكتور اسحق موسى الحسيني، صاحب «مذكرات دجاجة» فاننا لنجد دجاجته تؤمن بالانسانية ايماناً حاراً، وتدعو اليها دعوة خالصة[1].

«... وفيما انا افكر واحاور نفسي، اذ جاء زوجنا اليّ، واخذ يسرني في اذني حبه لي، واعجابه بي دون سائر زوجاته، ولم يسعني الا ان ابادله حباً بحب، وعطفاً بعطف واعجاباً باعجاب، ووجود هذا الزوج الصالح العطوف المحب هو من سواق القدر، ولكني بعد ان تبادلنا التحيات فكرت في سائر زوجاته، ترى ينعمن بحبه كما انعم؟ ايسمعن منه كما اسمع؟ ام هن محرومات السرور والبهجة؟ فان كان الامر الاول فلا بد ان يكون زوجي بارعاً في ادارة بيته ومعاملة زوجاته.. قلت بارعاً، لاني لا احب ان اقول مداهناً او منافقاً.. وان كان الامر الثاني فما اشقاني بشقائهن وما احزنني بحزنهن»

أرأيت! انها لتشقى شقاء عميقاً، ان كان زوجها يحبها وحدها فقط، ويعيرها من الاهتمام البالغ والاعجاب العظيم، ما يجعلها تمتاز به عن سائر زوجاته.

انه لأمر عجيب حقاً ان تفكر فيهن، وهي في غمرة النعيم الذي يسبغه زوجها عليها، وان تنعته بالبراعة في ادارة بيته ومعاملة زوجاته، ان كانت معاملته معها لا تختلف عن معاملتهن.. وهناك امر اكثر عجباً انه ليس هذا التفكير في سائر زوجاته، بل هذا الشقاء والحزن اللذان تريدهما لنفسها ان كن شقيات حزانى!.

والدكتور الحسيني يحاول ان يحدد الانسانية في هذا التعريف للعقل الذي تعرفه دجاجته حين تقول[2]:

«ان العقل منحة عظيمة، ولكن العاقل ان تجرد من الخلق فعقله كالعدم، والعكس بالعكس اما الاشعاع فمثله واضح من الاضواء... فضوء يشع لمسافة ميل، وضوء يشع لمسافة بضعة اميال.. وضوء يشع لمسافة اميال كثيرة، فالعاقل العظيم الخلق هو فاضل بنفسه ولنفسه، ولكنه يقاس في نظري باشعاعه، فان كان يفيد أسرته فهو نوع، وان كان يفيد عشيرته فهو نوع آخر، وان كان يفيد امته فهو نوع ثالث، وان كان يفيد الامم المجاورة فهو نوع رابع، وان كان يفيد الخلق جميعاً بلا استثناء فهو اشرف الانواع وافضلها..»

ولا حاجة الى بيان الانسانية وتحديده لها، في هذه الفقرة، فانت تراها في العبارة الاخيرة منها، رؤية واضحة.. انها الاشعاع الذي يفيد الخلق جميعاً بلا استثناء!

وفي العبارتين التاليتين تلمح عناصر الانسانية من عدل ومساواة ومحبة وتعاون وحق وسلام.. فالدجاجة تقول[1]:

«.. لقد رأت اختنا بعين البصيرة ان شقاء اسرتها يمكن ان يحسم، قالت: وما سبيل ذلك؟ قلت: ان نعود اليها وننشر فيها المبادىء السامية، فلا ينبغي ان توجد بقعة في هذه الدنيا محرومة من العدل والمساواة والمحبة والتعاون..» وتقول في موضع آخر[2]: ان الحياة هبة غالية من الله، ولكنها تنقلب الى ارخص قينة حينا تبذل في سبيل مرضاة الله، ومرضاة الله لن تكون الا بنشر العدل والحق والسلام بين جميع المخلوقات..»

ارأيت الى دفقات الانسانية القوية في هذا الهتاف المقدس «لا ينبغي ان توجد بقعة في هذه الدنيا محرومة من العدل والمساواة والمحبة والتعاون».. كم نحن بحاجة الى دعاة يؤمنون بهذا الحق من حقوق الانسان!

ثم انظر الى دفاع هذه الدجاجة عن الازاهير الملونة، من حمراء وصفراء وسوداء، وكيف تلقم بثورتها المباركة، اوجه هؤلاء الذين يفترضون الاختلاف والتمايز بين الالوان البشرية:

«واسترعى لون شقائق النعمان الاحمر والاسود نظر آخر من الاعزاء فأطال النظر فيها وقال لي: اماه كيف اجتمع الاحمر والاسود في زهرة واحدة، الا يفاخر احدهما الآخر؟ قلت: اني لاعجب لكم ايها الاعزاء كيف تفرضون الاختلاف والخصام في كل شيء تقع عليه عيونكم.. كأنكم تفترضونها امراً طبيعياً لا مفر منه.. ان الطبيعة ايها الاعزاء، اعلى واسمى من ان تخضع جميع مخلوقاتها لهذا النظر الضيق.. انها لا تميز ما تنبت، فجميع الاحياء، على وجهها، متساوون، فليس الاسود بأعز من الاحمر، والابيض بأحب اليها من الاصفر، وهي قد نوعت عن قصد، فلم تحاول اساءة فهمها وتأويله شر تاويل؟ قال: وما القصد؟ قلت: القصد ارضاء المشيئة الالهية في رؤية الخلق على اجمل وابدع نظام.. فلو جاء لون الازاهير واحداً وشكلها واحدا لانعدم الجمال فيها، ولكانت الحياة مملة منفرة..»[3]

وبعد، فهذا نموذج صالح للاعتزاز بانسانية الادب العربي، وايماء الى ينابيع الانسانية المجهولة، في غمرات النزاع والاعتداء الآثمين.

لقد آن لكم ايها الادباء الانسانيون، ان تنموا المثل الانسانية السامية، والمبادىء المخلصة للبشرية المعذبة، لعلكم تنقذونها من هاوية الظلم والاعتداء على ابنائها المتعبين الابرياء.. وتبعثون عهداً سعيداً حراً، تسوده الطمأنينة في ظلال الخير والمحبة والسلام..

كربلاء - العراق — صالح جواد الطعمة

---

(١) مذكرات دجاجة ص١٧. (٢) ص ١١٨

(١) مذكرات دجاجة ص١٠٤ (٢) ص١٣٠ (٣) ص١٣٨-١٣٩

روسو في اواخر ايامه

●

هيا بنا ، في مطلع هذا الخريف الجميل ، الى رحلة ممتعة ، وتستيقظ فيها اعز ذكرياتنا الادبية وأحلاها . ولنرافق « المركيز دي سيجور » في زيارته « لارمانوفيل» البلدة الصغيرة التي لجأ اليها جان جاك روسو في اواخر ايامه . وفيها مات ودفن :

***

تفتح ابواب قصر « شاليس » الفخم الجميل ، للجمهور ، في مطلع كل ربيع . ولا يتناسى جمهور الزائرين انهاء زيارتهم بالحج الى اجمل الاماكن ، واشدها رومانتيكية وروعة ، واعني بها تلك « الصحراء الغناء ، ارض العزلة ، التي اعتزل فيها روسو ، الناس والمجتمع ، وشمسه تقارب المغيب .

هنا قضى صاحب « اميل » « وهيلوئيز الجديدة » آخر لحظاته واهنأها واحفلها بالسكون والدعة ، في اطار طبيعي ، كأنه خلق ليرضى عنه روسو الذي طالما تعذب في حياته وتشرد في البلاد .

في عشرين مايو ، سنة ١٧٧٨ ، وصل روسو الى ناحية شاليس هذه ، في صباح ربيعي صاف ، وحل ضيفاً على المركيز « دي جيراردان » الذي خصص له جناحاً في قصر شاليس ، من ناحية مشرفة على ارمانوفيل .

ولا شك ان صورة صديق روسو الاخير هذا ، ستخلد في التاريخ ، بنبلها ، وعمقها ، وحرارتها . فرينيه دي جيراردان لم يكن نبيلاً عادياً ، بل عالماً وفيلسوفاً روحانياً ، ذاعت شهرته في طول البلاد الاوروبية وعرضها .

وهو أحد ابناء النبلاء ، تجول كثيراً في مطلع حياته في اوروبا ومارس حياة البذخ والترف والرحلات . وطوف في البلاد ثم مل هذه الحياة وركن الى بلدة ارمانوفيل . وكان يملك هناك قصراً قديماً حوله بمهارته وفنه الهندسي الدقيق الجميل الى قصر يتلألأ بالجمال والروعة . وقد تتلمذ « جيراردان » على كتب روسو (قبل ان يتعرف اليه شخصياً) وحاول ان يطبق نظريات استاذه ، « ويعود الى الطبيعة » ، فاذا بالقصر القديم ، يتحول الى جنائن طبيعية ملتفة الارواح ، عميقة الظلال ، برية الازهار والاعشاب ، قل ان يوجد لها في فرنسا مثيل .

وكان اجمل ما في مغاني القصر ، ناحية مخضوضرة منعزلة ، فيها كوخ صغير ، وضمة من اشجار السرو والحور ، على جزيرة مدورة الشكل ، تتوسط غديراً صافياً .

في هذا القصر عاش جيراردان مع اولاده الفتيان والفتيات . عيشة اقرب الى الطبيعة والجمال والاستقرار .

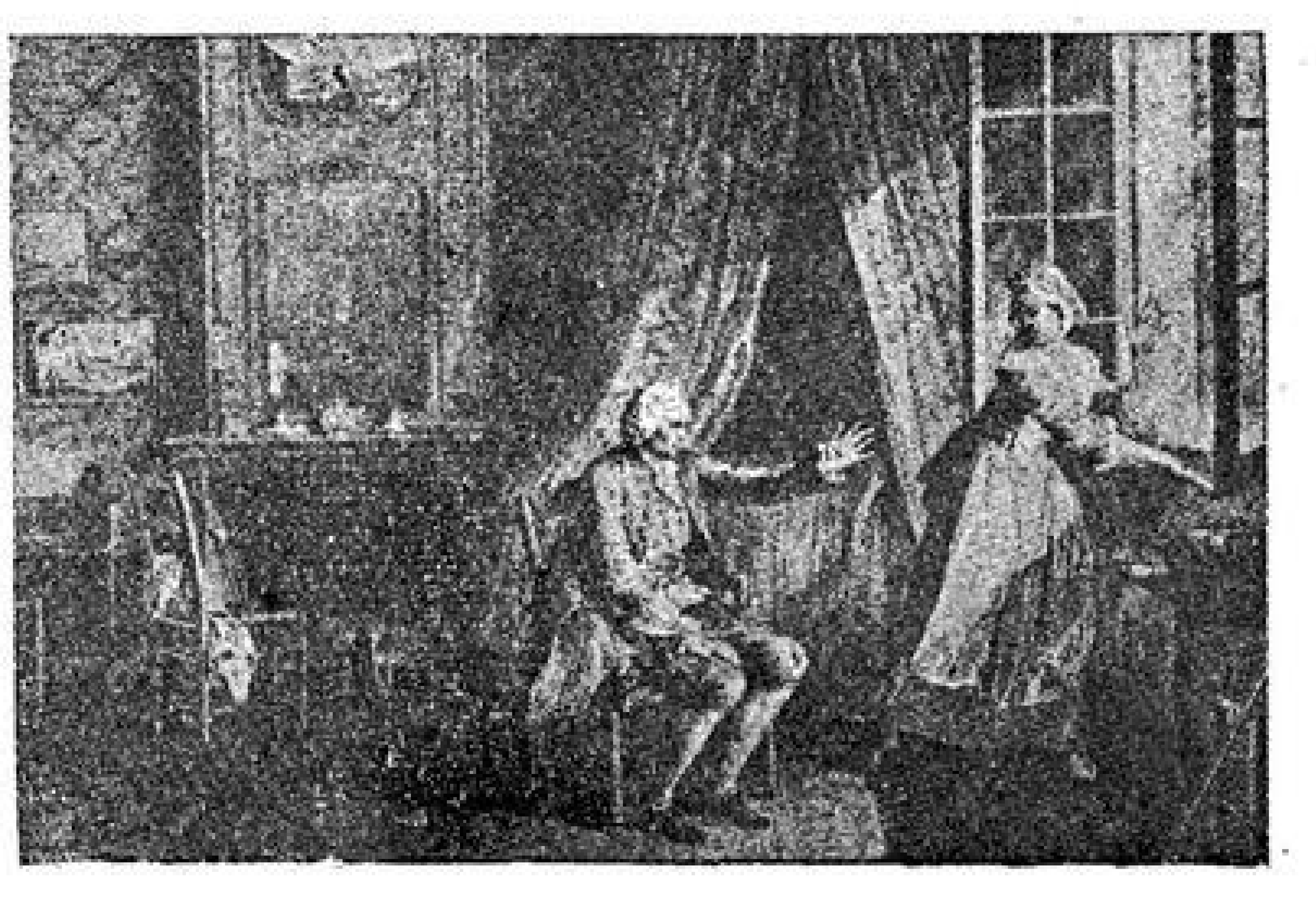
فكيف لا يروق مكان كهذا لروسو ؟ فقد حدث ان تعرف جيراردان الى الكاتب العظيم الذي طالما قرأ له وتتلمذ عليه واعجب به . ودعاه الى قصر شاليس . وكان ذلك سنة ١٦٧٦ .

واحس روسو ، بعد مضي عامين ، من حياة باريسية صاخبة مضطربة ، بالتعب والكلال ، خاصة وقد نضبت موارده ، وناصبه الدهر العداء . فولى وجهه شطر القصر الهادىء الجميل .

وكان وصول « روسو » الى القصر مؤثراً . اذ هاجه مرأى « الادواح الطاهرة ، الخالية من الغبار والدخان » ، فارتمى بين ذراعي تلميذه « جيراردان » ينتحب من الوجد والفرح . وقال « روسو » وهو يشرق بدمعه : آه يا صديقي : رغبت منذ زمن طويل في المجيء الى هنا . وها انا اصل وكل شيء يدل على انني سأقضي هنا بقية عمري .

وراح روسو يحيا حياة جديدة . كلها نشاط وتجدد . فينام مع الغروب ، وينهض مع

ايام روسو الاخيرة في ارمانوفيل



الفجر، ويخرج للنزهة في المروج والغابات. وحيداً في اكثر الاحيان، وتصاحبه احياناً زوجته « تيريز ».

وكان روسو يتردد على ناحية كثيرة الشجر والمياه، تدعى « حديقة كلارنس » فيجلس على صخرة مشرفة، يلقي فتات الخبز لاسماك، الحوض، وعصافير السماء.

وفي هذه الناحية البرية، كان يستقبل ضيوفه القادمين من مختلف البلاد الاوروبية.

وكان يبدو سعيداً هانئاً يمازح جميع اهل القصر. ويقص على الاطفال منهم قصصاً مضحكة مسلية. ويعزف على « المنجيرة » او « الربابة » الحاناً قروية مطربة. او يخوض الغدير المتسع، بزورق صغير اعد للطواف بين جنباته المزهرة.

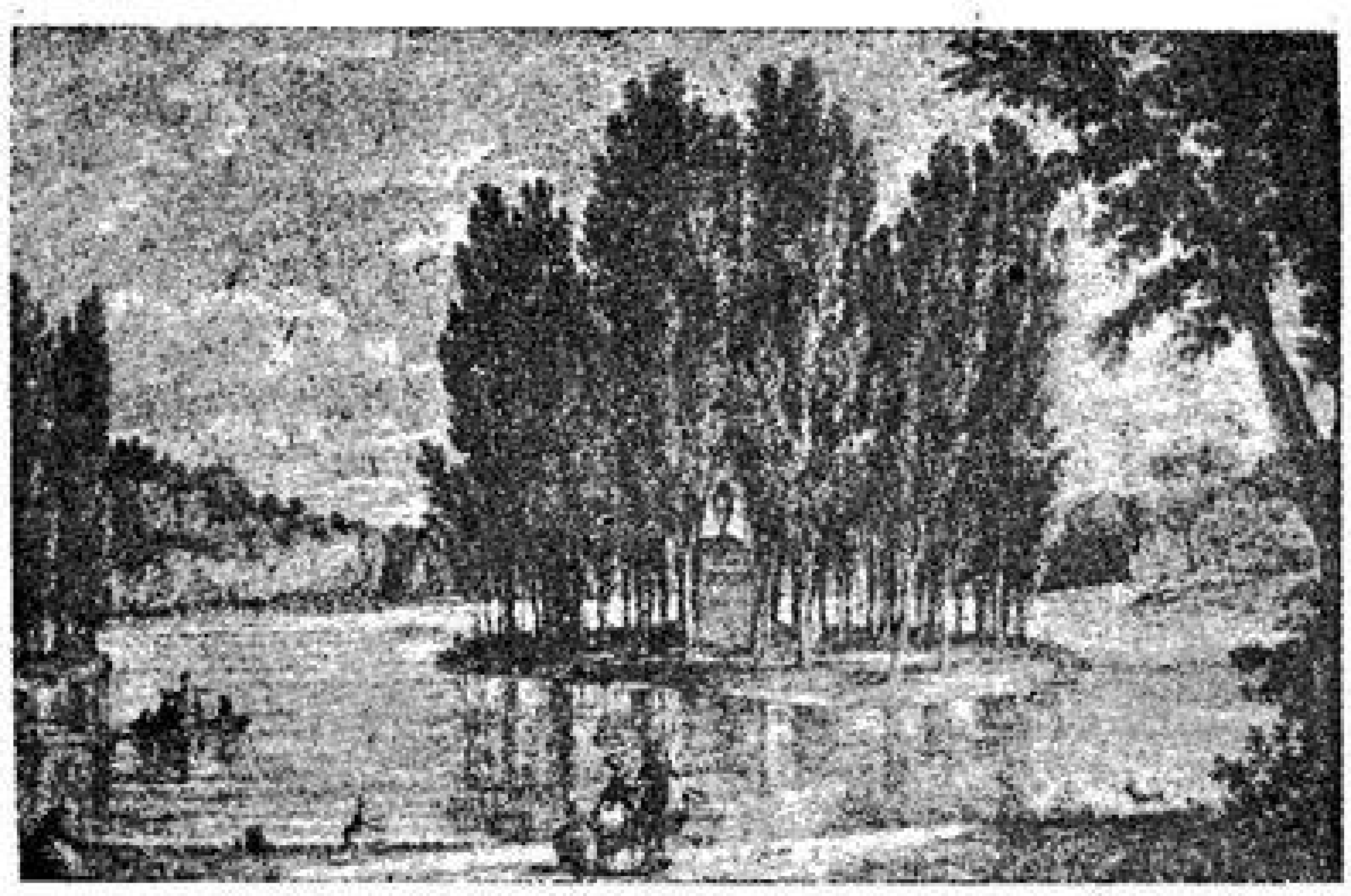
وتبدو اليوم، للزائر المتطلع الدقيق: آثار كثيرة قديمة، على جذوع الشجر، يستطيع ان يميز منها كلمة « محراب الاحلام والتأمل – روسو » حفرها روسو على جذع سروة، في ساعة من ساعات الفراغ والتأمل.

وقد اعتنى المركيز جيراردان، في ذلك الزمن، بالطريق الدائمة التي كان يسلكها روسو يومياً، بين القصر، ومكان العزلة، فعبدها، فبدت انيقة نظيفة تستهوي العين والقلب.

وكانت هذه الطريق، كما اسلفنا، تؤدي الى صومعة روسو. وهي كوخ صغير، ملأه روسو بالاعشاب النادرة، والكتب، والآثار. فكم قضى الليالي الطوال بين اعشابه وكتبه، ناسياً المدينة والناس. وكم تاه بين الادواح المتشابكة الملتفة، سعيداً كأتم ما تكون السعادة، ناسياً كألذ ما يكون النسيان.

روسو الآن في ارمانوفيل يتمتع بثقة الاهالي ومحبتهم فهو يمر على العمال، وعلى ثغره طيف ابتسامة مخلصة ساحرة، او يحيي الفلاحين، بنشوة واهتمام. ويسايرهم ويسألهم عن المحصول والزراعة، ويهديهم التنباك. ويشترك ايام الآحاد في اعيادهم وحفلاتهم. وحين انشأ اهل البلدة فرقة موسيقية، انضم روسو اليها، عازفاً على الكمان.

ونشأت بين روسو، وخوري المنطقة، الطيب القلب، علاقة ود، وصداقة قوية. وكان روسو يزور الخوري في منزله المتواضع، زيارات متعددة وكان من عادة الخوري ان يرى روسو قادماً من بعيد، فيترك النافذة، ويختبىء في داخل المنزل. فيصل روسو. ويقف مدة خجولا حائراً قبل ان يدق الباب، ثم يدقه بشيء من التردد والوجل. ويكرر دقاته، وينادي صديقه، وبعد وقفة



قبر جان جاك روسو في « ارمانوفيل »

طويلة، يمضي الى الشارع، ويحاول العودة، فيبرز الخوري من المنزل، ويدعو صديقه، ضاحكاً، مستبشراً.

ولبثا زمناً طويلاً يتزاوران ويتحابان. ويقومان بالنزهات الخلوية الهادئة، والسهرات الساجية الطويلة.

ما كان احد يظن ان نهاية هذا الرجل السعيد المطمئن قريبة.

ولا شك ان روسو قد شاخ وهرم، ونال منه الجهد والكلال. وراح يشكو في اواخر ايام يوليو، الصداع الشديد. ولكن مرحه، وروحه اللاهية الطروب، منعت سكان القصر من ان يلاحظوا اعياءه واقترابه من الموت.

وفي الثاني من يوليو، عاد من نزهة في البرية، ولزم سريره، ولم يتركه بعد ذلك الا عند موته.

وكأن روسو احس بدنو أجله. فطلب الى امرأته ان تقفل الباب في وجه « الاطباء والجراحين » قائلاً: حين تعصف الرياح، وتتحطم السفينة، ويتمزق شراعها، وتصبح قاب قوسين او ادنى من الغرق، لا ينجيها شعاع منطلق عن منارة الشاطىء.

واحس روسو بالنشاط في ذات يوم فحاول النهوض من السرير، ولكنه تدحرج الى الارض وتناولته زوجته تيريز بين ذراعيها، واجلسته على مقعد قريب، ولكنها لاحظت انه كان جثة لا روح فيها ولا حياة.

هكذا مات روسو.. دون صخب ولا عذاب.. وكل الاساطير التي اشيعت بعد موته، عند اغتياله، او انتحاره، لا ترتكز الى اي اساس. ولا شيء يثبت موته الطبيعي كشهادة رينيه دي جيراردان نفسه، وتقرير الاطباء الذين شرحوا جثة روسو – بناء على طلبه في الوصية – فوجدوا التهاباً شديداً في الدماغ.

وفي يوم السبت الثاني من يوليو، حنط جثمانه، ووضع في تابوت،

بقلم انطون تشيخوف

يوم في القرية

ترجمة سهيل ايوب

الزمن بين الثامنة والتاسعة

ان حشداً ذا لون رصاصي مسود يزحف في السماء باتجاه الشمس ، ومن وقت لآخر تومض ذبذبات حمراء لامعة هنا وهناك من خلاله . وان هناك صوت قعقعة يأتي من بعيد ، وهواء حاراً يمرح فوق العشب ويحني هامة الاشجار ويهيج الضباب ولن تمر دقيقة واحدة حتى يهطل مطر ايلول وتبدأ عاصفة حقيقية .

وكانت فيوكلا ، وهي الفتاة المستعطية التي تبلغ السادسة من العمر ، تركض خلال القرية ، تفتش عن الاسكافي تيرنتي . وكانت الطفلة البيضاء الشعر ، الحافية القدمين ، شاحبة اللون وعيناها متسعتان وشفتاها مرتجفتان . وكانت تسأل كل من يصادفها :

— « عماه ، اين هو تيرنتي ؟ » دون ان تتلقى جواباً من احد . لقد كان الجميع ، وقد شغلهم قدوم العاصفة ، يحصنون انفسهم داخل الاكواخ . واخيراً التقت بخادم الكنيسة « سيلانتي سيليتش » وهو صديق تيرنتي الحميم ، وكان قادماً وحده يترنح تحت وطأة الريح :

— « عماه ، اين هو تيرنتي ؟ » . — « في حدائق المطبخ » .

وركضت الفتاة المستعطية خلف الاكواخ الى حدائق المطبخ ، وهناك وجدت تيرنتي كان الرجل الطويل المسن ، بوجهه الرفيع المنقط ، وساقيه الطويلتين ، وقدميه الحافيتين ، والمرتدي سترة نسائيـة ممزقة ، واقفاً بالقرب من قطعة ارض الخضروات يتطلع بعينين ناعستين الى غيوم العاصفة السوداء . وكان يترجح في الهواء على رجليه ، الشبيهتين برجلي طير الكركي ، مثل عش الزرزور . ونادته الصغيرة :

— « ايها العم تيرنتي ! عمي العزيز ! » فاتجه تيرنتي نحو فيوكلا ووجهه العبوس الثمل قد غطي بابتسامة عريضة ، تماماً كما يحدث لوجوه الناس حين يتطلعون الى شيء صغير ، احمق وسخيف ، ولكنه عزيز جداً وقال متلعثماً برقة :

وحمل في منتصف الليل الى « جزيرة الحور » .

ورقد روسو ، عشيق الطبيعة ، السنين الهانئة الطوال في هذا المثوى الساكن الجميل ، وعرفت ذكراه ، المحومة فوق ذلك المكان الشعري ، زواراً عظاماً . كلويس السادس عشر ، وماري انطوانيت ، ومن جاء بعدهما من ملوك ورؤساء .

ولكن اذا كانت بقايا روسو ، امينة لنظرة صاحبها في الحياة والمجتمع ، فلعلها ان تكون شقية بزيارة هؤلاء العظماء والملوك . فالسعادة اتتها عن غير طريقهم .

ويروي الناس ان عجوزاً من نساء القرية ، مهدمة ، هزيلة ، كانت تأتي في كل مساء ، وايقونتها في يدها ، لتصلي على شاطىء الغدير ، ناظرة الى قبر روسو « الرجل الطيب الحنون » .

ولا زالت دار الآثار الفرنسية تحتفظ بسجل صاحب حانوت « ارمانوفيل » « نقولا هارلي » وفي صفحة من صفحاته كتب نقولا :

« اليوم ، الثاني من يوليو ، مات في البلدة احد الغرباء واسمه كما اظن جان جاك روسو » .

وبعد هذا ، سجل « نقولا » اوصاف وثمن ارنب صغير ، اشتراه احد الزبائن !!.

— «آه ؛ من اين انت آتية يا خادمة الرب فيوكلا؟» فاجابت وهي تنشج وتشد بعنف نهاية سترة الاسكافي :

— «ايها العم تيرنتي . لقد وقعت حادثة لاخي دانيلكا . تعال معي ! ».

— «أي نوع من الحوادث ؟ اوه يا للرعد ! قدوس قدوس قدوس .. اي نوع من الحوادث » ؟

— «في غابة الكونت وضع دانيلكا يده في ثقب شجرة وعجز عن اخراجها. تعال معي ايها العم. كن لطيفاً واخرج له يده».

— «وكيف وضع يده هناك ؟ ولماذا ؟ ».

— «لقد اراد ان يجلب لي بيض العصافير من الثقب». فحك تيرنتي رأسه وبصق بقصد :

— «ان النهار لم يكد يبدأ بعد ومع ذلك فقد وقعتما في مشاكل .. حسناً ، ماذا علي ان افعل معكما الآن ؟ يجب ان اجيء . يجب علي ، ليت الذئب يلتهمكما ايها الطفلان المزعجان ! تعالي ايتها اليتيمة الصغيرة !».

وخرج تيرنتي من حديقة المطبخ ، ورفع قدميه الطويلتين وابتدأ يسرع في السير مجتازاً شارع القرية . كان يسير بسرعة دون ان يقف او يتطلع من جهة الى جهة اخرى ، كما لو كان مدفوعاً من الوراء ، او خائفاً من اناس يلاحقونه . ولم تكن فيوكلا تستطيع ان تلحق به الا بصعوبة جمة .

وخرجا من القرية ودارا وحيدين في الشارع الكثير الغبار باتجاه الغابة التابعة للكونت والتي كانت تبدو عن بعد سوداء تضرب الى الزرقة .

لقد كانت تبعد حوالي الميل ونصف الميل . وكانت السحب في هذه الآونة قد غطت الشمس ، وفي الحال لم يبق في السماء اية بقعة زرقاء . وازدادت الظلمة .

وهمست فيوكلا وهي تسرع وراء تيرنتي : — «قدوس قدوس قدوس ».

وسقطت اولى قطرات المطر كبيرة الحجم ثقيلة الوزن وتوزعت بقعاً سوداء على الطريق المغبر . وسقطت قطرة كبيرة على خد فيوكلا ثم انزلقت مثل الدمعة فوق ذقنها .. وتمتم الاسكافي وهو يرفس الغبار بقدميه الحافيتين :

— «لقد ابتدأ المطر يهطل . هذا جميل يا فيوكلا، ايتها الطفلة العجوز . ان العشب والاشجار تتغذى بالمطر مثلما نتغذى نحن بالخبز اما فيما يتعلق بالرعد فلاتخافيه ايتها البنية الصغيرة . اي سبب يدفعه الى قتل شيء صغير ولطيف مثلك ؟ ».

وفي اللحظة التي اخذ المطر يهطل فيها توقفت الريح عن الهبوب وكان الصوت الوحيد هو طقطقة قطرات المطر المتساقطة على الطريق الجاف برقة عذبة . وتمتم تيرنتي :

— «سوف نبتل يا فيوكلا ، سوف لا تبقى قطعة جافة فينا . أوه ، اوه يا صغيرتي ! لقد انزلقت قطرة في رقبتي ! ولكن لاتخافي ايتها الساذجة .. سوف يجف العشب مرة ثانية ، وسوف تجف الارض مرة ثانية ، وسوف نجف نحن ايضاً مرة ثانية . ان هناك شمساً واحدة لنا جميعاً .

ولمع وميض برق على بعد اربعة عشر قدماً فوق رأسيهما . وعقبه طنين رعد قوي ، فبدا لفيوكلا ان شيئاً كبيراً وثقيلاً ومدوراً يتدحرج فوق السماء ، ممزقاً اياها ليفتحها ، تماماً فوق رأسها وقال تيرنتي وهو يرسم اشارة الصليب :

— «قدوس قدوس هدوس .. لا تخافي ايتها اليتيمة الصغيرة ! انها لا ترعد حقداً ».

واصبحت اقدام تيرنتي وفيوكلا مغطاة بصفائح من الطين الرطب الثقيل . واصبح المسير في هذه الحالة عسيراً وخطراً، ولكن تيرنتي أخذ يزيد في سرعة خطواته . واصبحت الطفلة المستعطية الصغيرة منقطعة الانفاس وعلى استعداد للسقوط بين لحظة واخرى . واخيراً دخلا في غابة الكونت . وكانت الاشجار المغتسلة تحركها نفات الريح فتقطر المياه مثل شلال حقيقي عليها . وتعثر تيرنتي بجذع شجرة وابتدأ يبطىء من خطواته وسأل :

— «اين دانيلكا ؟ قوديني اليه »!.

فقادته فيوكلا الى دغل كثيف ، وبعد ان سارا حوالي ربع الميل ، اشارت الى دانيلكا . وكان اخوها ، وهو فتى صغير في الثامنة من سنيه ذو شعر احمر كأنه النحاس . ووجه شاحب اللون تعلوه امارات المرض ، واقفاً ومستنداً الى شجرة ، ورأسه يميل جانباً يتطلع بنظرة جانبية الى السماء . وقد حمل في احدى يديه قبعته الرثة ، بينما اختبأت الاخرى في ثقب شجرة مسنة . وكان الصبي يرنو بنظره الى السماء العاصفة ، وكان من الواضح انه لا يفكر في متاعبه . وحين سمع وقع الخطوات ورأى الاسكافي ابتسم ابتسامة شاحبة وقال : — «انها لكمية مخيفة من الرعد يا تيرنتي .. انني لم اسمع قط رعداً بهذا المقدار طوال حياتي ».

— «وأين هي يدك؟» — «في الثقب. اخرجها يا تيرنتي أرجوك» !

وكانت الخشبة قد كسرت من طرف الثقب وضغطت على

يد دانيلكا : انه يستطيع ان يدفعها الى الداخل ، ولكنه لا يستطيع ان يخرجها . فنزع تيزنتي القطعة المكسورة، فتحررت يد الصبي الحمراء والمضغوطة . . وقال الصبي ثانية وهو يحك يده :

—« ان السماء ترعد بشكل مخيف . ما الذي يسبب الرعد يا تيزنتي؟» فأجاب الاسكافي: — « انها تنشأ عن اصطدام سحابتين».

وخرجت الجماعة من الغابة وسارت بحاذاتها في اتجاه الطريق المعتم . وكان الرعد يخف تدريجياً . وكانت قعقعة تسمع من بعيد وراء القرية . وقال دانيلكا ولما يزل يحك يده :

—« لقد هرب البط من هنا في الامس يا تيزنتي يجب ان يعشش في مستنقعات نيليا زايميستشا . اتريدين ان اريك عش العندليب يا فيوكلا ؟». فقال تيزنتي نافضاً الماء عن قبعته :

— « لا تلمسه لانك سترعجها . ان العندليب طائر غريد لم يخطيء قط . لقد اعطي صوتاً في حنجرته ليحمد الله ويبهج قلب الانسان . انها خطيئة ان ترعجه ».

— « وماذا تقول في العصفور الدوري ؟».

— « العصفور الدوري لا اهمية له . انه عصفور سيء وشرير . انه مثل النشال في سلوكه، فهو لا يحب ان يكون الانسان سعيداً . حينما سمر المسيح على الصليب حمل العصفور الدوري المسامير الى اليهود وصاح : « انه حي ! انه حي ! ».

وظهرت رقعة زرقاء في السماء . . وقال تيزنتي : — « انظر : هذا بيت النمل خربته الامطار! ان الماء قد غمر هؤلاء الخبثاء ! ».

وانحنوا فوق بيت النمل وكان المطر قد اتلفه ، والحشرات تذهب وتجيء في الطين ، مضطربة ، وبهمة تحاول ان تحمل بعيداً رفيقاتها التي غرقت . وقال تيزنتي عابساً :

— « ما حاجتكم الى هذا ، انه لن يسبب وفاتكم ! ولن تكاد الشمس تدفيء اجسادكم حتى تعودوا الى شعوركم من جديد، وذلك درس لكم ايها الاغبياء . كي لا تستقروا في ارض منخفضة مرة ثانية » . . وتابعوا المسير . فصاح دانيلكا وهو يشير الى غصن شجرة سنديان فتية : —« وهنا توجد بعض اسراب النحل» وكان النحل المبلل البارد متراكماً فوق بعضه على الغصن . وكان هناك الكثير منه حتى غطى قشر الشجرة والاوراق وحجبها عن العيان . وكان الكثير منه مجتمعاً بعضاً فوق بعض . واخبر تيزنتي صاحبيه :

— « تلك اسراب من النحل تطير تفتش عن مسكن لها، وحين تهطل الامطار فانها تستقر . اذا رأيت سرباً منها طائراً ، يكفيك ان ترمي عليه بعض الماء حتى توقفه عن طيرانه . والآن فلنقل انك تريد ان تستولي على سرب منها فما عليك الا ان تضع الغصن الذي اجتمعت عليه في صندوق ثم تهزه فيقع الجميع فيه ».

وفجأة تقطب وجه فيوكلا وحكت رقبتها بشدة . فتطلع اخوها الى رقبتها فشاهد انتفاخاً فيها . وضحك الاسكافي : -

—« هيه هيه ! هل تدرين من اين حصلت على هذا ايتها الطفلة العجوز فيوكلا ؟ ان هناك بعض الذباب الاسباني على بعض شجرات الغابة . ولقد غمرها المطر ثم سقطت قطرة من الماء على عنقك — وهذا هو ما سبب الانتفاخ ».

وظهرت الشمس من وراء الغيوم وغمرت الغابة ، والحقول والاصدقاء الثلاثة بنورها الدافيء . وكانت السحب السوداء المتوعدة قد ذهبت بعيداً وأخذت العاصفة معها . وكان الهواء حاراً

وذكي الرائحة . وكانت رائحة الطيور حلوة وكذلك رائحة زنبق الاودية . . وقال تيرنتي مشيراً الى زهرة من زهرات الاودية :

— «ان هذا العشب ينبت ليداوي نزيف آنافكم ان تأثيره حسن»

وسمعوا قرقعة وصفيراً ، ولكنها ليست مثل قرقعة غيوم العاصفة المحمولة بعيداً . لقد مر قطار كبير امام اعين تيرنتي ، ودانيلكا ، وفيوكلا ، جاراً اكثر من عشرين قاطرة وراءه . لقد كانت قوته هائلة وكان الصغيران مهتمين ليعرفا كيف تستطيع هذه القاطرة ، بدون حياة وبدون مساعدة الاحصنة ان تحرك مثل هذه الاثقال وتجرها . وقد اخذ تيرنتي على عاتقه ان يفسر لها ذلك :

— « ان كل هذا هو عمل البخار يا اولادي . ان البخار هو الذي يقوم بالعمل . . وكما ترون انه يندفع من تحت ذلك الشيء بالقرب من العجلات . وهي . . كما ترون . تتحرك » .

وقطعوا خط السكة الحديدية ، وساروا هابطين من على الرصيف باتجاه النهر . وكانوا يسيرون دون غاية ، لمجرد التجوال وهم يتحادثون طوال الطريق . . كان دانيلكا يطرح اسئلة وتيرنتي يجيب عليها .

لقد اجاب تيرنتي على كل اسئلة دانيلكا ، ولم يكن هناك في الطبيعة اية اسرار تعجزه . . كان يعرف كل شيء . . مثلاً ، هو يعرف اسماء جميع الزهور البرية ، والحيوانات ، والحجارة وهو يعرف اي عشب من الاعشاب يصلح دواء لبعض الامراض ، وهو لا يجد صعوبة في ان يخبرك عن عمر حصان او بقرة . وهو ، ان نظر الى غروب الشمس ، او الى القمر ، او الى الطيور ، يستطيع ان يخبرك كيف ستكون الاحوال الجوية في الغد .

وفي الحقيقة ، ليس تيرنتي وحده الذي يملك هذا الذكاء ، بل ان صاحب الحانة ، والبستاني ، والراعي ، وكل الفلاحين على العموم يعرفون قدر ما هو يعرف . وهؤلاء الناس لم يتعلموا ذلك من الكتب ، بل تعلموه في الحقل ، وفي الغابة ، وعلى ضفة النهر . ان اساتذتهم هي الطيور ذاتها حين تغني لهم ، والشمس حين تترك احمراراً قرمزي اللون بعد مغيبها ، والاشجار المسنة ، والاعشاب البرية .

وكان دانيلكا يتطلع الى تيرنتي وهو ينهل بشره كل كلمة من كلماته . حقاً من لا يود في الربيع ، وقبل ان يكل الانسان من الحرارة ، ومن لون الاعشاب الرطبة المملة في الحقل ، وحين يكون كل شيء طرياً ومليئاً بالرائحة الذكية ، ان يستمع الى الحديث عن الازهار الوردية ، وعن طير الكركي ، وعن خرير الجداول السيارة .

ولقد كانا كلاهما ، الاسكافي واليتيم ، يسيران خلال الحقول يتحدثان باستمرار دون كلل . حتى ليخيل انهما مستعدان ان يجوبا العالم الى ما لا نهاية . وكانا يسيران ، وقد شغلهما الحديث عن جمال الارض ، عن ملاحظة الشحاذة الصغيرة الضعيفة وهي تقفز وراءهما لقد كانت مقطوعة الانفاس تتحرك بخطوات متباطئة . وكانت الدموع في عينيها ، وهي تتمنى لو توقف هذان التائهان الجاودان . ولكن لمن والى اين تستطيع الذهاب ؟ انها لا تملك منزلا ولا اقرباء ، وهي مرغمة على السير معهما والاستماع الى حديثهما شاءت ذلك ام أبت .

وقريب منتصف النهار جلس الجميع على حافة النهر . فأخرج دانيلكا من كيسه قطعة خبز ، وبلها ثم قسمها الى قطع ، وابتدأوا يأكلون . وصلى تيرنتي عندما انتهى من أكل الخبز ، وحينئذ تمدد على الضفة الرملية وراح في اغفاءة .

وبينما هو نائم ، كان الصبي يشخص بناظريه الى الماء متسائلاً . ان لديه اشياء عديدة ومختلفة يفكر فيها . لقد شاهد لتوه العاصفة ، والنمل ، والنحل ، والقطار ، والآن ، وامام عينيه ، يتحرك السمك بخفة في الماء . البعض منه يبلغ الانشين طولا او اكثر ، والبعض الآخر لا يزيد عن حجم الظفر . وهذه الافعى تسبح ، ورأسها مرفوع ، من ضفة الى اخرى .

وحوالي المساء فقط عاد مشردونا الثلاثة الى القرية . وذهب الطفلان ، لقضاء الليل ، في مخزن محصولات زراعية مهجور ، حيث كان يحفظ قمح القرية . بينما تركهما تيرنتي وذهب الى الخان ، وتراكم الطفلان معاً على القش يحاولان النوم .

ان الطفل لم ينم . انه يشخص في الظلمة ، وتخيل اليه انه يرى كل ما رآه في النهار ، غيوم العاصفة ، والشمس المحرقة ، والطيور ، والسمك ، وتيرنتي الهزيل . ان العديد من مشاعره ، مضافاً اليه الانهاك الشديد والجوع العنيف ، لتفوق قواه . ان حرارة شديدة تلهبه كما لو كان ينام فوق الجمر ، فيتقلب من جنب الى جنب . انه يريد ان يخبر احدهم عن كل ما يلازمه في الظلمة ويهيج نفسه . ولكن ليس هناك من احد ليخبره . ان فيوكلا جد صغيرة وليست بقادرة على فهم ذلك . . وفكر في نفسه :

— « سوف اخبر تيرنتي غداً » .

ونام الطفلان وهما يفكران في سائق العربة المشرد . وفي ساعة متأخرة جاءهما تيرنتي ، ورسم اشارة الصليب فوقهما ، ثم وضع خبزاً تحت رأسيهما . ولم يكن هناك شاهد على حبه ، ولكنه شوهد فقط من القمر الذي كان يسبح في السماء ، والذي رمقه بحذر من خلال الشقوق الموجودة في حائط مخزن المحصولات المهجور .

دمشق — سهيل ايوب

الجندي المجهول

الصمت في الوادي العميق صدى يموت ويستفيق
وخطى النسيم على الثرى بحاتُ حشرجة تضيق
ورؤى تطل رؤوسها من ثلمة الشجر الوريق
لا صوت الا وهوهات الريح في القصب الرقيق
وصدى يموء على الربى ويغور في جدث عميق
يمتصه العشب الندي فيستحيل الى شهيق
وصرير اسنان تصك كأنها فكا غريق
ودبيب اشباح تمر وتختفي عبر الطريق
وتروح تنسج في الظلام اشعة سود البريق

وهنا ، وثمة قصة تنسل في حذر رشيق
تمضي ، وترسم خلفها شبحاً لانسان صفيق
الموت يزحف في خطاه ويستثير صدى عميق
رث الظلال كأنه حفار مقبرة عريق

ويند احيانا هنا وهنالك حول المنحنى
نور تسوطه الرياح فيختفي الا سنا
وحفيف اجنحة الظلال يخيفها ظلي انا

ويلوح في الليل المديد لسان فانوس بعيد
كاب ، يمط من الزجاج سناً ، يطوف على الجليد
ويمر بالاجداث يقرأ ما بهن ، ويستعيد
ماذا يريد ؟ ترى افي تلك المقابر من جديد !
الامس مات وهذه جثث السنين هنا تبيد
عفن ، يغص به التراب فيستحيل الى صديد
ورؤى تزلج في الوحول فلا عقاب ، ولا وعيد
وشلاء اموات واشهاد وصلبان حديد
تطفو بأشداق البلى والارض تأبى ان تزيد
شبعى تقيأ كل ما بين المقابر من صديد

الامس مات فمن هنا يمضي ، كما امضي انا
ماذا أتى كي يقتني بشر الهوى والمقتنى،
وحدي ، أجل وحدي انوء بكل اعبائي هنا

وتمر اسراب السنين السود ، من عام لعام
ابداً تدف بأفق افكاري فينتشر الغمام
وتنوح في صمت الدجى شتى حمامات السلام
ويغص في قلبي شعاع باهت طي القتام
واعود اسمع من جديد صوت قضقضة العظام

وصدى القبور الفاغرات شفاههن الى طعام
ويطل من خلل القبور خيال هاتيك الرمام
بالامس كان هنا هوى يحبو ، فيلتثم الانام
والارض كانت غوطة تأوي البلابل واليمام

امس استحال الى صدًى وغدي يطل من الوعيد
والارض قد عادت الى الجوع القديم ، الى جديد
حبلى بما التهمت من الموتى ، ولكن تستزيد

وترن في الليل البهيم يدي ، وتعثر بالرميم
فيضج في اذني صدى ينشق كالجرح القديم
وتسيل منه على يدي ازات سكين اليم
ودبيب نار في دمي تلظى كأنفاس اللئيم
ماذا ارى ؟ ماذا هنالك اي ارواح تهيم
ويد تقاذف بالجماجم في متاهات السديم
الموت يعزف لحنه الدامي ، فيرتج الاديم
فاذا القبور الواجمات هوا ، تنفس كالجحيم
وتهب اسراب من الديدان تلتهم الهشيم
وفحيح قهقهة تلوى في الفضاء ، وتستقيم
وهنا ، وثمة عظمة خضراء ، في حلم عقيم
من يدري، ما كانت ، وما كانت تكون من النعيم
ولمن تعود ، ومن يكون واي جندي كريم
عبثاً اردد ما اسمه المجهول ، ذلكم العظيم
الموت لا يبقي على الجندي ، معطفه القديم

ويعود ينتفض المغيب فلا عويل ولا دبيب
فتلوح في اقصى الظلام ذراع حفار غريب
تهوي ، وتنبش في الثرى عن عظمة طي الكثيب
والموت، ليل مغرق في الصمت ، يغري كل ذيب

واروح اذكر ما وراء الامس انبش كل عيد
تلك الرؤى المتبعثرات وراء حاضرنا العتيد
ابد ، يمور ويختفي في لجة الجمد البليد
ويظل منه على شفاهي الذابلات ، صدى نشيد
ورؤى تهوم في زوايا مقلتي وتستعيد
ويعود ينبش في دمي صمت المساء كما يريد
ويسل من اضلاعي الموتى لظى ألم جديد
وصدىً ، لقهقهة تمرغ وجهها فوق الجليد

لصفاء الحيدري

بغداد

☆

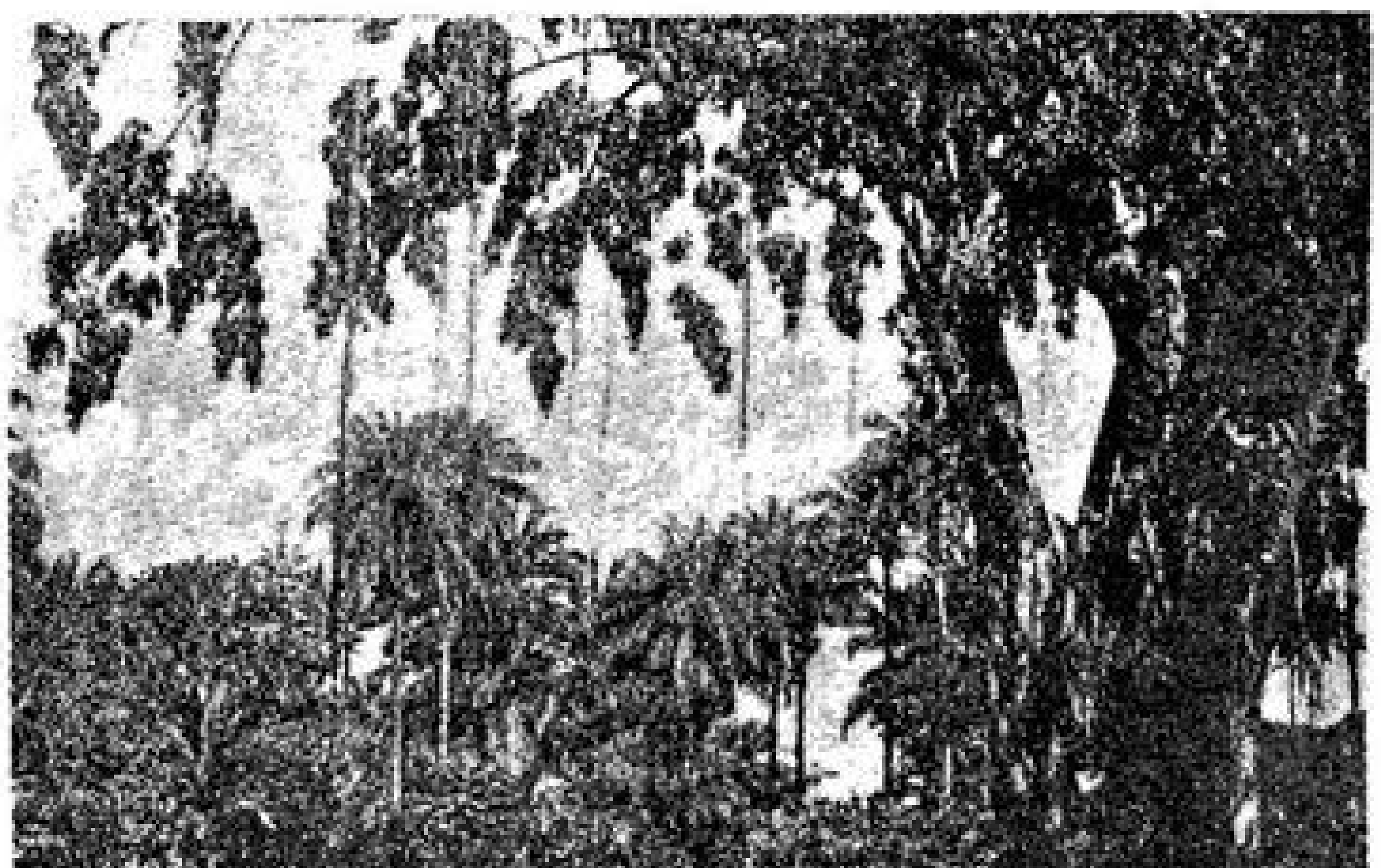
المورونابا

بقلم يوسف ابو خليل

مئة ونصف المئة من السنين خلت، عندما اخذ الضعف اشده من قبائل البربر والطواق، ونزحت هذه، هاربة شاردة، عن الكثير من الاراضي التي كانت تملأها الى غيرها من الفيافي والقفار الافريقية اللاهبة الحر، تاركة الغنم والسلطان لغيرها من القبائل السوداء التي، بواسطة اليد البيضاء الفاتحة ومعونتها، نشطت الى النهوض، برزت آنذاك قبائل الموسي (Mossi) وبعد ان لملمت شعثها، وجمعت شتاتها، وانست في صفوفها المقدرة والقوة، اتخذت مسرحاً لها ومقراً مقاطعتي واكادوكو وبافانكا التابعتين للفولتا العليا في القسم الاعلى من الشاطىء العاجي بلاد الفيلة.

وكان من الطبيعي ان تعتنق قبائل الموسي الدين الاسلامي، الذي تركت قبائل البربر والطواق آثاره لها، لاسيما والدين الاسلامي كان حينذاك اقرب الاديان الى الاذهان، فاتخذت الكثير من سننه وراحت بدورها تبشر به في محيطها وجوارها. وهكذا لم يمض طويل زمن حتى غدت قبائل الموسي تعد نيفاً ومليونين من الانفس، اذ انضم اليها عدد لا بأس به من القبائل التي ضربها القدر بالشتات والضعف والوهن، فاصبحت بذلك صاحبة الحول والطول، ذات قيمة ومكانة، وموضع احترام الابيض الفاتح الذي ترك لها من الحقوق فوق ما ترك لغيرها، فوصلت الى سؤدد لم تكن تحلم به، ولعل ما وصلت اليه دفع رئيسها المورونابا – على حد تعبير لغتها – الى جعل نفسه سلطاناً حاكماً بأمره، فراح يلاحمه بالجواري السود الحسان، هذه جاءته تقدمة وهدية، واستولى على تلك عنوة وقسراً لرغبة منه فيها، ووضع في خدمته العدد من الخدم والحشم، فهاب بطشه القريب والبعيد واوجس منه خيفة مجاوروه فأطاعوه.

الطريق المؤدية الى الغاب المقدس



المورو نابا رئيس الموسي وحاشيته





خادمان من خدم الموروناب

ولما كانت الطبيعة ولا تزال، كما اجمع علماء النفس، من اهم العوامل التي تتأثر بها عقليات الكتل البشرية، ولما كانت الطبيعة الافريقية، كما قد وصفت في عدد ماضٍ من الاديب هي النافثة روحها البعيدة عن التقشف والتقشب في عقليات قبائل الموسي، فقد ابت عليها عقلياتها تلك الا ان تبقى محتفظة بالكثير من العادات والتقاليد الخرافية. واغرب ما في هذه العادات والتقاليد طاعتها العمياء لرئيسها الموروناب ومبالغتها في تعظيمه وتقديسه حتى حد العبادة.. بل راحت تجعل من مورناباها ذلك معبوداً تصلي له وتتضرع اليه، معتقدة مؤمنة انه انحدر من اصل الهي، وهذا ما اوصله الى الملك، واعتقادها السخيف هذا دفعها الى عدم الايمان بموت الموروناب، فالموت ان وافاه انما يوافيه لينقله من عالم حي الى عالم حي آخر، غير انه في فترة الانتقال هذه لا بد للموروناب من السبات العميق حتى يتم نقله .. لهذا فما ان تأتيه يد المعونة حتى يتهافت العشرات والمئات من خدمه وغيرهم مقدمين انفسهم، بكل طيبة خاطر ونفس معتزين مفاخرين مطالبين ان يكونوا رفقاء الكهم الراحل، وحتى يبقى الكل راضين يعكفون الى طريقة القرعة الى ان يتم انتخاب خمسة عشر شخصاً من المقدمين انفسهم،



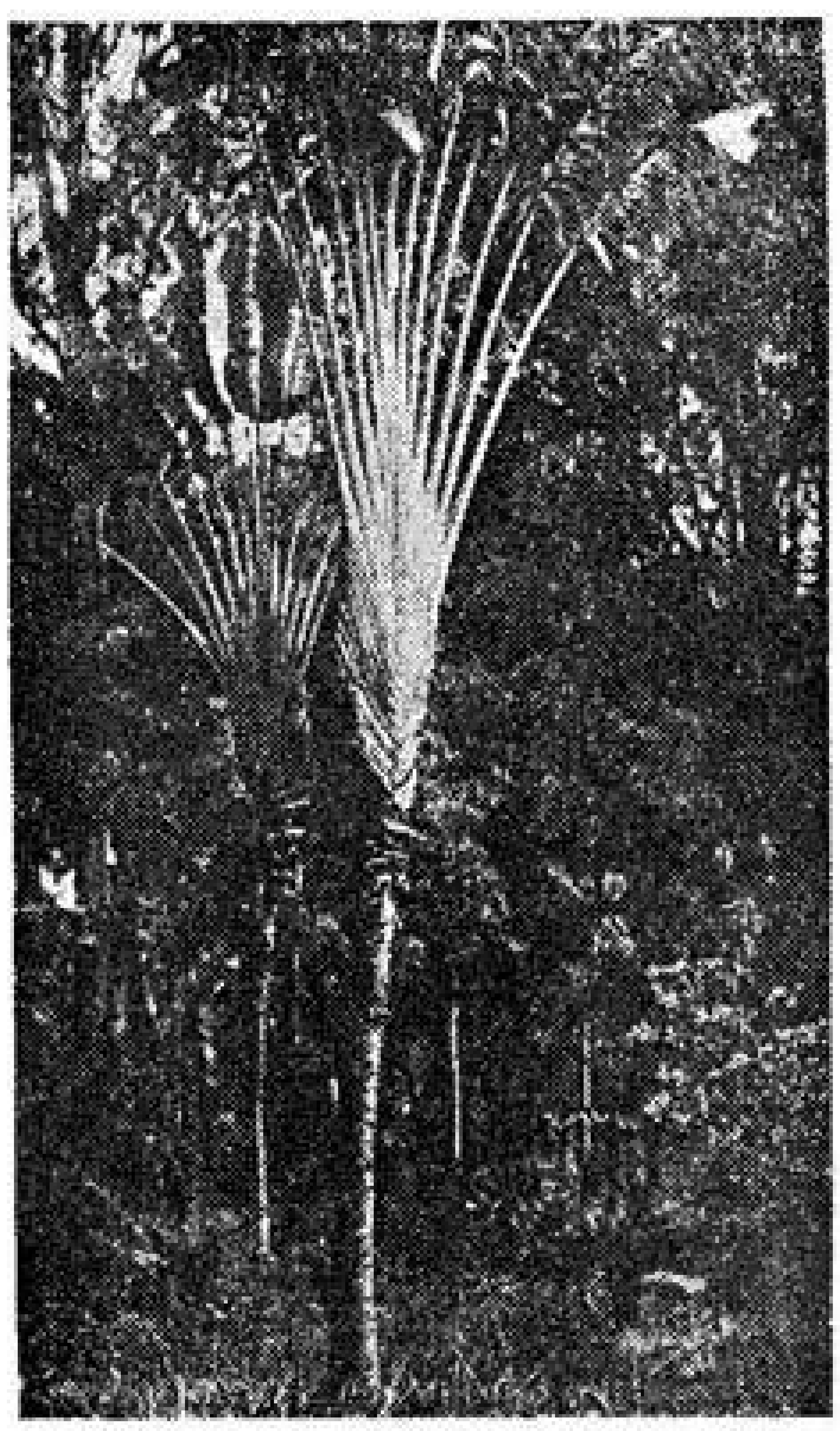
جاريتان من جواري الموروناب

كما تقدم نفسها ايضاً اجمل جواري الموروناب واحبها عنده لمرافقته حاملة معها الاغطية والاردية والمؤن والاطعمة ولوازم الطبخ ووو.. وفي حفل تخلله الرقص والغناء، تشيع قبائل الموسي مورانا باها ورفقاءه الاحياء الى المقر الاخير في الغاب المقدس ثم تعود لتتوج مورونابا جديداً. وهكذا دواليك،

تلك عادة من اغرب العوائد اوجدتها الطبيعة عند قبائل الموسي غير ان الزمن سوف يخفيها بين طياته لانها بدأت قليلاً بالزوال. اما الموروناب هذا الرجل السعيد الحظ، المغمور في نِعم قل من ينعم فيها سواه، فهو زنجي عادي، لا يختلف عن الكثير من ابناء جلدته سحنة وشكلاً ولوناً، يلبس الزي الافريقي، جلابية تهدلت على جسمه، وظهرت من تحت اطرافها اذيال «خفتان» (قميص صويل) تدلت على قدميه، وعلى رأسه طاقية من المخمل الكحلي رصع اطارها بما يزيد عن كيلو غرام من الذهب وفصوص الالماس الغالية الثمن، وتلك الطاقية هي الفارق الوحيد بينه وبين افراد رعيته.

غينيا الفرنسية **يوسف ابو خليل**

الغاب المقدس حيث يقضي تحت التراب العشرات من الموروناب والمئات من الجواري والخدم



بول سيزان والنزعة التجريدية في التصوير

بقلم
شاكر حسن سعيد
ليسانسيه
في العلوم الاجتماعية

من مظاهر اختلاط القيم[1] الفنية والجمالية في هذا العصر ان لا تجد النزعات الحديثة اشياعها الا بين القليل من رجال الفكر والذوق وهذا بلا ريب نتيجة ازدهار سريع وتطور مستمر يتنافى وتبلور المقاييس ومن ثم تحجرها .

وليس العجب ان يغمط الفنان المبدع لدى الجمهور لان ذلك طبيعي ومن منطق التطور فالفنان يتقدم ابداً زمانه انما العجب كل العجب ان يحدث التطور سريعاً بحيث لايبقى للجمهور مجال يستوعب فيه النتاج الفني ويمثله وهذا مما يعقد مهمة الناقد—وهو حلقة الوصل بين المبدع والمتذوق—لدرجة لم يسبق لها مثيل في مختلف العصور الفنية المنصرمة .

ومن المؤسف ان يجهل الجمهور العربي مبلغ التبدل في قيم العصر ومقاييسه في الحين الذي عليه ان يعيشه بأي ثمن فيستوعب ثقافته ويقتبس مدنيته ويحمل عقليته . وليس ثمة حياة حق لمن لا ينسجم وحاضره — حاضره المتقدم والذي يعيش في ماضيه كمن يعيش في مستقبله ، لا يحقق جوهر وجوده في شيء . ومن هنا نشأت ضرورة رفع مستوى الذوق الشعبي بوصله بصميم الثقافة الغربية وتعريف الفنون المعاصرة للجمهور ، قدر الامكان .

والنزعة التجريدية في التصوير من النزعات المعاصرة الجديرة بالتعريف لانها صورة هذا العصر في احدث ملامحه ولان ما نعرفه عنها شيء يسير ثم لان الثورة فيها على القيم القديمة تبلغ ذروتها . هي استعمال جديد للوسائل الموضوعية او الشكلية من لون وخط وشكل وحجم وفراغ لاداء القيم الذاتية او الروحية من موضوع ومعنى وعاطفة وذات .

ومدلول الكلمة العام يعني الانطلاق فالتجريد نقيض التحديد او صورة الواقع عارياً من قيوده وهما الزمان والمكان فاذا كان الكائن المحدود هو هـذا الذي يصدع بقوانين طبيعية سرمدية فالكائن التجريدي هو الذي لن يصدع باي قانون طبيعي وبالتالي فلن يتصف باي وجود محدود .

اما مدلول الكلمة الفني فيعني تطوراً عضوياً للنزعة اللاحقة للانطباعية Post - impression من حيث ثورتها على التجسيد الواقعي (للقيم الشكلية) في الفن او بالاحرى استمراراً لما ابداه احد اقطاب تلك النزعة : بول سيزان[2] في الانطلاق من قيود الواقع الموضوعي .

ان انتقال فن التصوير الى صفته التجريدية ثم تبلور احد فروعه في شكل نزعة شغل النصف الثاني من القرن الماضي والنصف الاول من هذا القرن .

فقد بلغ الفن التحديدي (والطبيعي) ذروته فيما سمي بالنزعة الانطباعية Impression وكان من آباء تلك النزعة مونيه ومانيه ورينوار وجلهم من الطبقة البرجوازية التي اصبح لتقاليدها اثر بالغ على الفن في منتصف القرن المنصرم ، فبعد ان كان الرسام ينقل الواقع كما يراه دونما مراعاة للشعور الآني غدا يهب شعوره ذاك كل الاهمية اي ان دائرة الابداع انحصرت لدى الفنان في مجال اللحظة الشعورية الحسية الراهنة ومن ثم لجأ الى نقل الواقع المكاني كيما يفنى الزمن كل الفناء . ويكتفي بتقطيع اوصاله ونثر حلقات السلسلة والتشبث بواحدة منها—تلك هي اللحظة الواحدة لحظة الخلق—فيتطرف في استخدام المكان اداة صرفاً للخلق ولن يخرج لديه التصوير عن مهمته من الاهتمام بالواقع .

وفي الربع الاخير من القرن نفسه ظهرت النزعة اللاحقة للانطباعية وكانت في احدى زواياها تمثل (رد الفعل) للروح البرجوازية التي اغرقت الفن الحسي وتشبثت بوثنية المكان في النزعة الانطباعية كما مر . وفي زاوية اخرى تمثل ظهور الاثر العلمي والروح العلمية في الاداء . اكدت النزعة الجديدة بضرورة الخلق ووهبت الفن قيماً لا تعتمد على الطبيعة كل الاعتماد بنقل معالمها بل على الفكر في صب الموضوع بقالب يفترضه الفنان وتخلت عن وثنية نقل الواقع والشعور الآني الى وثنية خلق عالم جديد مع الاستعانة بذلك الواقع من الوسائل الموضوعية لتحقيق هـذا الخلق وكان من آبائها (فان كوخ) الذي استهدف التعبير عن الحركة في الوسائل الموضوعية وكوكان

---

(١) المراجع : ١- Painting & Painters : Lionello Ventury ٢- Modern French Painting - Wilenski ٣- هيلدية زوالوشر مجلة الكاتب المصري ع ٢٦ ص ٢٥٧ — ٢٦٦ .

(٢) رسام فرنسي ١٨٣٩—١٩٠٦ بدأ حياته كرسام انطباعي ثم اصبح رساماً لاحقاً للانطباعية) ومن طريقته تفرعت المدرستان التكعيبية والتجريدية

الذي توخى التعبير عن الرمز ثم البساطة وكلاهما استمد وحيه من عواطفه على النقيض من سيزان الذي كانت المشكلة عنده بمقياس واقع تستلهم العقل ففي مطلع حياته الفنية مال نحو الرسم ولجأ الى الخيال والعاطفة ومنذ العقد الثالث من عمره انغمر بالمدرسة الانطباعية ثم اهتدى بنفسه الى طريقه الخاصة التي استنكرها الانطباعيون انفسهم ومن هنا تنفست النزعة اللاحقة للانطباعية على يده وانسابت ببطء في مجراها .

والذي يهمنا من هذا العرض ان ندرك ان التصوير حتى مطلع النزعة اللاحقة للانطباعية كان يعتمد على الواقع الموضوعي او ما اعتاد الناس ان يروا فيه الاشياء في الحياة واحترام قانون المنظور في العمق واللون والتزام الشبه في صور الاشخاص فاصبح يتمرد على هذا الواقع من اجل تحقيق هدف الفنان في خلق جديد يتجرد من اكثر صفات النموذج الرازح تحت وطأة الطبيعة وناموسها وهذا هو معنى الانطلاق من قيود الواقع الموضوعي والذي تناولته اكثر النزعات المعاصرة فيما بعد كالتعبيرية ومدرسة الوحوش والاستقبالية والتكعيبية اما الانطلاق من الواقع الذاتي بالاضافة الى الواقع الموضوعي فهو الذي ستحققه النزعة التجريدية بعدم التزامها شيئاً بالذات .

ان موقف سيزان من النزعة التجريدية يتحدد بكونه الرائد الاول لها . فقد استهدف منها تحطيم الواقع المنظور (كما هو) عند الانطباعيين ومن سبقهم فرسمه على اعتبار جديد يحقق هدفه من الابداع . ابداع عالم جديد زاخر بالعمق والاتزان والجمال (كما يجب ان يكون) عالم عار من اثواب هذا الوجود يصنعه هو بيده صنع خالق ولكنه لا ينجزه في عرض ذات الموضوع . اي انه لم يرسم اشياء لا يراها بل يعتمد على نماذج حقيقية يلتزم هو عرضها بالشكل الذي يعجبه . . فكان ان فكر في الانطلاق لاجل الانطلاق والتجريد لاجل التجريد .

كرس مجهوده للتعبير عن الزمن ولكن بشكل معكوس فلم يهتم باللحظة الشعورية كما هو شأن الانطباعيين بل باللحظات السرمدية التي سوف يعيشها الناظر في لوحاته وان المتأمل يرى ان عوالمها يتمطى فيها الزمن ويتثاءب .

والسلسلة لديه متناثرة حلقاتها الا انه لا يقنع منها بواحدة بل يرسم الحلقات جميعاً وهي متناثرة . . . لم يعد لديه الفن نقل الواقع ولا تقطير الزمن في لحظة فحسب بل خلق جديد مستمر وهذا هو السر في ان الناظر للوحاته يخال انه يجهل فيها اشياء فيتملكه احساس من يغوص ويغوص في الاعماق .

ومن حيث ان الفن كان لديه التعبير عن اللحظات المستمرة اتسمت طريقته بالتجريد ايضاً فالوقت لدى الفنان التجريدي من عناصر الاداء . وقد عبر هو عنه بجعل عوالمه سرمدية فمحاولاته هذه لم تكن غير تمهيد مقتصد تبلور فيما بعد على يد احفاده بسرعة عجيبة في ولادة ما يسمى (بالمدرسة التجريدية)

وهكذا يمكننا ان نقدر مكانة سيزان من التجريدية في عدة امور :

الاول — انه كان اول من خرج على الاداء التحديدي .

الثاني — انه يلتزم نقل الواقع الموضوعي

واخيراً — في محاولة التعبير عن الزمن في الاداء .

بغداد — حسن شاكر سعيد

حلم

☆

سنلتقي
حيث يموت الظل والضوء
وحيث لا يدركنا شيء
وحيث لا يجمعنا نوء
بل عابر اراد ان نلتقي
فنلتقي
حتى اذا ما انتبه الملتقى
وانسل عن غرقى مداه الدجى
اسفت في نفسي لتلك الرؤى
تلك التي تريد ان نلتقي
فنلتقي
وانت افق فوق ما انت
بعيدة الاغوار كالموت
عميقة صفراء كالصمت
اود لو كنت كما نلتقي
فنلتقي

بلند الحيدري

بغداد

اغنية المجنونه

للشاعر اليوناني بالاماس

ايها الرجال !.. يا احبائي !.. اصغوا الي واستمعوني. فانا لست بشرير. تعالوا الي لاخاطبكم. لقد طاردني الدهر وما زال يطاردني. لا ترجموني بحجارتكم، فما انا بالمجرم وما اقترفت ذنباً. انا اتألم واتوجع.

***

لقد وقفت على مفترق الطرق، واقتعدت صخرة لاستريح، فلاح لي المغيب يزرع بيديه الناعمتين فوق الشفق وروداً حمراً.. الشبان يمرون وكأنهم في عيد. اما قيثارتي فمهملة مطروحة على الارض تناديني كأنها روح مريضة. واما انا فكنت الغريب الشريد التائه، وليس لي في الكون من مثيل. وقد كنت في نظر البعض مجنوناً وفي نظر الآخرين مستعطياً، وفي نظركم انتم معتوهاً ان معارفي يمرون بي مرحين سراعاً كأنهم ما عرفوني، وقد خلا بالهم من اي اهتمام بي. اما عرائس الجمال فكن يمررن بي وفوق شفاههن ابتسامة ساخرة. فاذا ما قادت احداهن الذكرى الى صوت قيثارتي، وفتشت على مكان لتقف فيه ردتها على اعقابها نيران عيني الوحشية القاتمة.

***

لقد دفنت شيئاً في تفكيري تكشفت عنه ملامحي، فأبعد عني السائرين نحوي وئيداً، ابعد الشباب المرح الجذلان والفتاة اللدنة القوام، ابعد عني الغرباء عني والاخصاء... لقد مرت بجانبي ووقفت كأنها تصلي راكعة. جاءت لتعرف ما بي. جاءت لتتألم.. جاءت كطلوع الفجر. ابثت نسمات الغروب بليلة الجناح وكانت تداعب رداءها وتلثم جسدها الغض، وتقف على نظراتها لتمتزج بنظرات الشباب اللعوب. وتسكر على صوتها الرخيم الموقع توقيع الاناشيد الروحية.

***

يا لها من فتاة حيية، لدنة القوام، جسور، فاتنة فكأنها الحوخة المنورة، او الحقول المكللة بأزاهير لا تذبل! ما لها هربت بعد ان جاءت؟ اتراها خشيت ان يفصل ما بينها وبين نور المساء، المساء الذي انارته؟ ان للمغيب وروده، وان للشفق شقيقه. ايةّ يد خطفتها مني؟ اية يد ارسلها الله؟ انني لم اقترف ذنباً،.. انا اتألم.. ففمي يحرقه عطش شديد.. لقد بللت شفتي ينابيع ماء روحية. وعلى الاعشاب الندية آثار خطواتها تصبح دليلاً اترسمه فأركض.. اركض بعيداً.. لقد مزقت لحمي الاشواك وتضرجت الارض بدمائي.

***

قولوا لي من انا؟ واين انا؟ افي الجبل انا ام في المدينة ام في الحقول؟ انا لست بالمجنون ايها الرجال الاحباء.. اصغوا الي! وانت ايها البيت انفتح امامي لادخل.. وانت ايها البستان اشتاقك واحن اليك. انا اعرف.. ها هو البيت، لقد دخلت من هناك من ذلك الباب. اني رأيتها من هذا الباب المقفل وفي هذا البيت الذي درت حوله طوال الليل ولما ازل حيث انا لقد داهمني الفجر فاستيقظت الكلاب ووثبت علي وراحت تشبعني عضاً. ماذا؟ لقد حسبني الجيران واهل الحي لصاً وقاتلاً فأفاق الاسياد العبيد واوسعوني ضرباً.

رحماك يا الله! انا لست بالسارق ولا بالمجرم. انا لست من السارقين والمجرمين يا ابناء الانسانية! تعالوا الي واسمعوا مني.. لقد طاردني الدهر فلا ترموني بحجارتكم. فما انا الا يتيم يتألم.

***

نقضت الحاجز ودخلت البستان وازعجت طيوره، فقبلت ازاهير المجازات، كما قبلت آثار قدميها. يا للاسف! هذي هي الحقيقة. لقد جئت لارى خيالها من النافذة قبل ان تطفى الشمعة، جئت لارى خيال رأسها ساعة تديره عندما يثقل النعاس اهدابها.

ارجموني ايها الناس! وعذبوني ايها العبيد في اعماق السجون. ان نوري لا يغيب.. لقد عرفت الحب.. لقد عشتك ايتها الحياة.

حلب — ترجمة: الياس معوض

مكتبة الاديب

انت لي

لنزار قباني – شعر – ورق صقيل – حجم صغير – ١٢٥ صفحة
مطابع دار المفيد – دمشق

شاعر ذو قلب فتي وروح شفيفة ، يستمد وحيه من المرأة ، فهي تملأ عليه شغاف القلب وتملك منه كل لب . يقول الشعر لها ، وينشده لاجلها ، ويخاطب عاطفتها ، ويناشدنوازعها ، ويهز اوتارها بموسيقاه الشجية ، ويطرب اذا طربت ، ويرقص اذا رقصت ، ويميل اذا مالت فهي « إلهة الشعر » عنده ، وهو عابد من عبادها المتنسكين بله المولهين .

ذلكم هو الشاعر السوري نزار قباني ، الذي قرأنا له من قبل ديواني « قالت السمراء » و« طفولة نهد » ، واليوم نقرأ له في كثير من الحفاوة ديوانيه الجديدين « سامبا » و« انت لي » .

وللشاعر نزار سمات يتميز بها شعره ، ولا بد لمن يستقصي دواوينه ان يرصد هذه السمات جلية واضحة ، فهو موسيقي الشعر ، تكاد كل قصيدة تتراقص على انغام صاخبة من انغام الجيتار ، بل ان ديوانه « سامبا » ديوان راقص – اذا صح هذا التعبير – من الفه الى يائه لان مقاطعه قصيرة قليلة الكلم . ومن ذلك قوله :

أيّ رقصة
ثرّة الغنج ، جريئه
رضعت ثدي الخطيئه
فهي قصة
بالجوارح
اذرع سمر وبيض
هزها الدف النبيض
كمراوح
النساء
بحر طيب وجواهر
غرق البهو حرائر
وثراء
والجدائل
مثل باقات السنابل
والفساتين مشاتل
والغلائل
وطويله
مثلما ينهض سيف
عربها . . نصف ونصف
كالخميله
الندامى
نفروا سرباً فسربا
ما ونوا دفعاً وجذبا
والتحاما
والغواني
كالفراشات . . سباق
مزجت ساق . . وساق
وثان

وعلى هذا النسق الراقص الهادر السريع القلب ، ينسج نزار قباني اطراف ديوانه « سامبا » فالديوان يصور رقصة ، بزغت في افق الفن الحديث ، ولا بدللرقصة من موسيقى ، ولا بدللموسيقى من وحدة ، ولا بد للوحدة من ان تنساب انسياب الجدول .

والاستاذ نزار قباني شاعر غزير المادة كثير الينابيع . فمع انه يستمد وحيه والهامه ونبض قريضه من المرأة ، الا انه لا يكرر نفسه ولا يعود الى المعنى الذي سبق له ان اداه جميلاً فريداً لا ظل فيه لمحاكاة او تقليد . فهو يصف الشعر الاسود المرسل بانه « شلال ضوء اسود » ، ويصف الثغر الباسم فيقول ان « تقبيله صلاة » ويصف الصدر فيقول : « توسد رخام صدررضيع » ، ويصف فاتنة غازات البحر بساقيها فيقول :

« غمسي في الماء ساقين كتسبيح السيوف »

ويصف الكاعب فيقول :

« ونهيدا ، راعش المنقار كالثلج النديف »

ويصف رداء النوم وصفاً رائعاً فيقول :

البردة المطيبة
ذات التطاريز ، وذات
الطرة المقصبة
والذيل والرسوم
والزركشة المحببة
اذ أنتِ زهو حجرتي
البشوشة المرحّبة
تجررين الراهل الطويل
نشوى معجبة
والاحمر الرعاد اشهى

من ورود المأدبه
فللحرير ان جمحت
ضحكة مهذبة

فالاوصاف التي تتوارد على ريشة الشاعر نزار قباني ليست مما الفناه في كتب الادب والشعر قديمها وحديثها ، فهي اوصاف حضرية مستمدة من حياة القرن العشرين ذات البذخ في الكلام والعبارات والمعاني والرموز والاخيلة. ولا شك في ان نزار باذخ في كل هذه ، مسرف في وصفه اسرافاً فيه جديد وفيه اجتهاد. فاسمعه يصف صور فتاة اخرى فيقول :

وروى لي عن ناهديَّ حكايا — فهما جدولا نبيذ وقهوه
وهما دورقا رحيق ونور — وهما ربوة تعانق ربوه

ثم يقوله في القبلة المنتزعة :

يغصب القبلة اغتصاباً وأرضى — وجميل ان يؤخذ الثغر عنوه

والشاعر نزار ينظر الى المرأة في كل يوم من زاوية . فمرة تستميله اثوابها الزاهية ، ومرة تستميله اناملها الرقيقة العاجية، ومرة تستهويه شفتاها العابثتان ، وآناً تغويه خاصرتها الدقيقة الضامرة ، وآناً تأخذ بلبه نافرتان على الصدر ولا بد له من ان يصور خوالجه في كل آن تصويراً لا يفتقر الى صراحة ولا يرتفع الى تكلف .
فمن قصيدة في الثياب يقول :

الوان اثوابها . . . تجري بتفكيري
جري البيادر في ذهن العصافير
الا سقى الله اياماً بحجرتها
كأنهن اساطير الاساطير
اين الزمان وقد غصت خزانتها
بكل مستهتر الالوان معطور
فثم ، رافعة للنهد ، زاهية
الى رداء بلون الوجد ، مسعور
الى قميص كثيف الكم مغتلم
الى وشاح هريق الطيب مخمور !

ومن أجمل قصائد نزار قباني قوله في وصف انامل فتانة لذات سوار :

لمحتها . . اذ نسلت
قفازها المعطرا !
واوقدت شموعها ،
الخمس وقالت : هل ترى ؟
أرشق من اصابعي
فيا رأيت منظرا ؟
انظر يدي . . وانفلت
الحرير فوقي . . . انهرا

فمي يد جميلة
تغزل شمعاً أصفرا
يد غدير فضة
من النجوم قُطرا
انهار ماس . . خمسة
ترشق دربي جوهرا
***
ارجوك ردي مخلبا
عني ، غميساً احمرا
أخاف ان جُنّ الهوى
ان تشهريه خنجرا !

فالشاعر نزار قباني شاعر مبتدع مرسل الخيال ، يشبه شعره الصورة الجميلة المرسومة على عجل ، رموزه كثيرة ، وقد يحار القارىء في تفسير بعضها ، واحلامه تائهة في بيداء من الاماني العذاب ، ورؤاه تدور حول محور حواء التي فتنت آدم يوم عرفته، وأسرت نزار قباني يوم غدت ملهمته ووحيه.

وديوانا « سامبا » و« انت لي » ديوانان جديدان في منهاجها ومذهبها ، يفيضان عاطفة ويزخران بالحب، ويعطر الارج صفحاتها والشاعر نزار يضرب على اوتار قليلة ، ولكن عزمه رخيم، وصوته غير محتبس ، وعباراته تفضح خواطره .

القاهرة — وديع فلسطين

البحتري

لجرجس كنعان-١٥١صفحة -حجم وسط-منشورات مكتبة ربيع-حماة

احس الاستاذ كنعان ، كما يشير في « تصديره » هذه الدراسة ضآلة الكتب التي تدرس البحتري . فعكف على ديوان هذا الشاعر الذي أحبه حباً عميقاً واعياً،وتوفر على دراسة حياته، وانقطع الى التمحيص والتحليل حتى اخرج لنا هذه الفصول القصيرة المركزة.

ونحن نلمس ، في « تصدير » الكتاب ، اول ما نلمس ، برم المؤلف بالطرق التي يتخذها الادباء والمتأدبون— ومن بعدهم الطلبة— في دراسة هذا الشاعر ، والذهاب في الحكم عليه مذاهب تمليها تأثرات بكتب شتى ككتاب الاغاني وغيره . . وهو يدعو الى دراسة حياته من آثاره ، وهو أمر ميسور جداً .

والكتاب في جملته ، لمحات سريعة ، سهلة الاداء ، نستشف من ورائها التدقيق الجاهد والعمل الفني الرصين ، تتضافر كلها لتؤلف الحادثة التاريخية او الفائدة الادبية .

وبعد « التصدير »نقرأ فصلاً يوجز حياة البحتري .وفيه عجالة تاريخية عن منبج وقدوم الطائيين اليها ثم مولد البحتري في اوائل

القرن الثالث للهجرة . فالمؤلف اذاً ، يرافق الشاعر من طفولته هذه المغمورة ، محققاً ودارساً ، حتى وفاته . وها هو يعبر لنا عن حيرته حيال سحابة الغموض هذه التي تكتنف حياة الصبي ثم نرى المؤلف يصور كيف تصغي اذن الشاعر الفتى ، المنفتحة للنغم والتعبير ، الى لغة طيء ، ثم انتقاله الى قبائل اخرى تحاولغتها من المآخذ والاقواء.

ولا يلبث النقد الادبي ، ان يتدرج ، عند المؤلف ، في توافق وانسجام ، بتصوير مراحل حياة الشاعر ، فنراه في مستهل شبابه يزور حلب وقراها وتقع عينه على فتاة غسالة ، او ابنة غسالة ، تروق له جداً ، وتشغل حياته ، وتخلد في شعره ، تلك هي علوة التي (لا تبيت الاوتار تخفرها) . وقد كتب المؤلف حول علاقتهما بالبحتري فصلاً خاصاً سيأتي الحديث عنه .

ثم نتابع قراءة هذا الفصل ، فنرى شاعرنا شاباً مكتمل الرجولة ، يضرب من نصيبين الى حمص ، يمدح الامراء ، ويحيا حياة اقرب الى التشرد منها الى الاستقرار .

ثم نراه يلتقي في العراق بعلي بن يحيى المنجم ، نديم المتوكل ، فيطمح ان يلج بواسطته ، قصر الخليفة .

ويعود المؤلف فيصور الاحداث السياسية في عهود المتوكل والمعتز والمؤيد ويبين علاقة البحتري بتلك الاحداث ، ويفصل ما ناله من تدخله في بعضها . ثم يصفو الزمان — اخيراً — لشاعرنا . فيخادن المعتز . . وينال الاموال الطائلة . . ويختم المؤلف هذا الفصل الخاص عن حياة البحتري بذكر موته سنة ٢٨٤ هجرية .

وفي فصلين تاليين ، قصيرين ولكن مركزين ، يدفع المؤلف ما يزعمه الاصفهاني للبحتري من قذارة وبخل ، بالتحليل العقلي المنطقي فالبحتري جليس الخلفاء والعظماء ، يدلنا على هذا شعره .

حملت على عشر من البرد مركبي	عجالاً عليهن الشكيم المحلّق
واكثرت زادي من بدور تتابعت	لجودك ، فيهن اللجين المطرّق
ومنقسبات للوجيه ولاحق	كميت يسر الناظرين وابلق
ومن لبس فازت بلبسك فاغتدى	لها أرج من طيب عرفك يعبق
عليها رداء من حمائل مرهف	صقيل يردّ الطرف عنه فيزلق

وقد تكون هذه الابيات كافية للدلالة على ما ذهب اليه المؤلف حين دفع رواية صاحب الاغاني . ولكنني كنت اود لو دعم دفاعه بوثائق اخرى ، وليس هذا بعزيز عليه ، بعد ان وقف جهوده على « البحتري » طيلة اعوام . . وكان يسافر احياناً من بلد الى بلد في سبيل مخطوطة لم تنشر ، او كتاب نادر يزيده معرفة بشاعره الاثير .

ومن اطرف فصول الكتاب ، تلك الصفحة التي كتبها عن « نخاسته » ، اذ يزيل فيها ما اعتور سيرة البحتري من ارجاف وتضليل على يد صاحب الاغاني وغيره . وقد بلغ هذه الغاية بايراد قطعة نفيسة من مخطوطة لابن المعتز ، نشرت حديثاً ، يروي الخليفة الشاعر فيها حديث البحتري وغلامه نسيم .

وفي الفصول التالية نتعرف الى بعض صفات الشاعر الوليد الايجابية — كما يقول المؤلف — فتجلي لنا من خلقه وحيائه وقصده صفحة جديدة بالقراءة الدقيقة المتأنية .

ثم يعرض لصلته بأبي تمام . وتتلمذه عليه . وبين بحر زاخر من الروايات المتضاربة ، حول علاقة الشاعرين الطائيين ، نجد المؤلف يتخذ اسلوب التحليل العلمي ، فيقرر ما رضي ضميره عن التقرير ، وينفي ما وجد الى النفي سبيلاً : وهذا هو البحتري . لا يعمل بنصائح استاذه . اذ تأثر به في بادىء امره ، ثم اكتملت ملكاته الشعرية فحلق بأجنحته الخاصة .

وكنا نتمنى على الكاتب لو درس هجاء البحتري باسهاب ، اكثر مما فعل ، حين قارن بين هجائه وهجاء ابن الرومي .

ثم يرد فصل « ضياع البحتري » متعارضاً مع تسلسل فصول الكتاب ، قاطعاً تكون هذه الشخصية ، وان كان في ذاته مفيداً جليلاً . وحبذا لو أخره الكاتب واثبته مع هذه « الفصول المتفرقة » في آخر الكتاب .

ثم يبدأ المؤلف في فصله : « شعر البحتري » بدراسته دراسة رصينه عميقة ، وباستطاعتنا قراءة هذا الفصل اذا شئنا ان نعرف المزيد حول طريقته العلمية التقريرية . ففيه تنظيم وترتيب . وفيه مقارنات واستدلالات . قد يطول بنا الحديث عنها وعن النتائج التي تؤدي اليها . ولكنني اشير الى رأي اساسي له ، قد يكون هو المحور الذي تدور حوله هذه الملاحظات النقدية في جملتها : وهو المديح عند البحتري . اذ ان مؤلفنا يبين كيف يتخذ الشاعر المديح وسيلته الى مختلف الفنون الشعرية والاغراض البلاغية . واستمع اليه في هذا الفصل نفسه يحلل شاعرية البحتري :

. . « فان شعره الحضري النفاذ النقي المشرق لا يشذ عن القواعد القديمة للشعر ، فهو بدوي وحضري في وقت واحد . تقرأ كل هذا الشعر فلا تجد فيه كلمة نافرة لفظاً ولا معقدة معنى . وقد لا يحتاج الاديب العادي الى معجم ، خلافاً لابي تمام الذي يسمونه امامه ، او لابن الرومي معاصره ومنافسه ، فكان في بغداد او سر مرا » لا يختلط بهذه الفوغاء ، ولا يسمع كلامهم ، وهو يعب من هذه الفارسية ويتغنى بمحامدها ولكنه لا يستعمل كلمة واحدة مما كان متعارفاً عند

الكتاب والادباء ، واذ ذكر الكلمات اليونانية فانه يجهد ان يضعها في قوالب عربية ، ومعلوم انه لا يستعمل الا الاعلام منها ، يقول في هجاء له متهكماً :

وقد بحثت العلوم اجمع واستظهرت حفظاً مقالة السلف
ما اقلس « واليس » في القضاء و « جابان » وما سراً من النتف
وما حكاه ذروثيوس وبطليموس من واضح لهم وخفي .

ويتحدث مؤلفنا ، بهذا الاسلوب الماتع الدقيق نفسه ، عن انواع الشعر عند البحتري . وهو حديث طويل كنت اتمنى لو يسعني تلخيصه هنا ، وهو يدور حول علاقة البحتري بالخلفاء . – وخاصة بالمعتز . – ومواقفه الاجتماعية ، وما اوحت اليه من ضروب الشعر والمعاني .

ومن اروع اقسام هذا الفصل ، ولعلها اروع صفحات الكتاب ذكره تلك « المحاورة » الطريفة ، العنيفة التي جرت بين البحتري وعبيدالله بن عبدالله بن طاهر في مديح ابي العباس بن بسطام ثم رد البحتري ، بتهكمه اللاذع وشاعريته المبدعة ، الموارة ، التي لا تعرف اتزاناً ولا مداراة ، على ذلك « الامير الحكيم المتطفل » على الشعر . يقول عبيد الله .

والشكل واليتم يحدقان به ... فليته بث عمره شجبه

ويرد البحتري ساخراً :

لو ان ذاك الشريف ، وازن بين اللفظ ، واختار ، لم يقل « شجبه » !

اما مؤلفنا فيتابع فصول هذه المحاورة للقارئ ، فاذا بها قصة او ما يشبه القصة ، يخلص منها الى ان البحتري قرر في نهاية قصيدته تلك ، الخصائص الخالدة للشعر العربي :

وخبرتني عقل صاحبي فقي ... سقت القوافي فخبرتني أدبه
والعقل من صيغة وتجربة ... شكلان مولودة ومكتسبه
كلفتمونا حدود منطقكم ... في الشعر يلغى عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكفي اشارته ... وليس بالهذر طولت خطبه
والشعر حلي المعنى وليس يريك الصفر حسناً ، يريكه ذهبه

ويقول المؤلف مستنتجاً :

١ – ان الشعر لمحات لا يرجع فيه الى المنطق اي ليس هو من ثمار العقل بل هو نبضات القلب ومثار العاطفة .

٢ – اللفظ حلي المعنى اي ان الجمال رونق الشعر وبغيته وقبلته فالخيال الخصب هو ينبوع الشاعر ، والصياغة اللفظية هي قابليته وجماليته وسابكته في قلب الجمال .

ويحلل المؤلف قصيدة « ايوان كسرى » او على الاصح يكسوها غلالة شفافة من الحس الرقيق والتفهم الهادئ الحذر ، لا تفسد رونقها ، ولا تسمح لنفسها بتشريحها لسبر اعماقها ، بل تقر لها بصفاتها الشعرية الخالدة وحسبها من التحليل هذا الحد المتزن القويم

وكذلك خصص الكاتب فصولا لقصيدة « الذئب » و « وصف القصور » والمناقضات ، اما قضية « تشيع البحتري » فأمر يقف منه المؤلف موقفاً وسطاً فهو لا ينكر احترام البحتري لعلي وابنائه ، ولكنه لا يجزم بتشيعه اما اشعاره فيهم فيعزوها الى ضمير الشاعر المولع بالحق اينما كان .

ويعود الحديث ، بعد علي ، الى علوة .

هذه الفتاة الساذجة الجميلة التي احبها البحتري ، وكان يعود الى ذكراها في حله وترحاله ، ويتمثل طيفها في غدوه ورواحه ، ويذكرها دوماً مهما رأى من جمال ومهما خبر من لذات الحياة وصنوفها . وهو حديث وجداني غزل ، يوشيه المؤلف بشعر البحتري في هذه الفتاة الجميلة :

كم ليلة فيك بت أسهرها ... ولوعة من هواك اضمرها
وحرقة والدموع تطفئها ... ثم يعود الجوى فيسعرها
يا علو ، عل الزمان يعقبنا ... أيام وصل نظل نشكرها
بيضاء رود الشباب ، قد غمست ... في خجل دائب يعصفرها
مجدولة ، هزها الصبا فشجا ... قلبك مسموعها ومنظرها .
لا تبعث العود تستمين به ... ولا تبيت الاوتار تخفرها
الله جار لها فما امتلأت ... عيني الا من حيث ابصرها !!!
إن قويقاً له علي يد ... بيضاء بالامس لست أكفرها
وليلة الشك وهو ثالثنا ... كانت هنات ، والله يغفرها

وبعد « آراء متفرقة » نطالع فيها نظرة البحتري الى الحياة ، ورأيه في المرأة اذ يعتبرها متممة للرجل ابنة واختاً وزوجة واماً ، وبعد فصول حول ايمان البحتري واباحيته واباءه وعتابه وثاقب رأيه وفخره ، ننتهي من هذه الدراسة الطلية الجاهدة بآخر شعر لصاحب « صنت نفسي » .

ولا بد لي ، قبل ختام الحديث ، من الاشارة الى الملاحظات الموفقة التي قوم بها المؤلف اخطاء الرواة والنقاد مثال ذلك ما ذكرته دائرة المعارف الاسلامية حول قرية النعمان ، وهي غير المعرة .

وكذلك الخطأ الوارد ، حول كتاب ابي تمام الى معرة النعمان .

ثم قضية مديح الامير ، وكيف ان الشاعر لا يمدح مدينة بجملتها * وهي فكرة بنى عليها المؤلف رأياً ادبياً مهماً .

وكذلك قل عن ضياع البحتري والتحقيق في امرها ، ومغالطة الديوان ، وكون هذه الضياع في منبج لا في البصرة . الخ . . الخ .

وليس لنا ، ونحن نقرأ الصفحة الاخيرة من هذه الدراسة ، الا ان نهنئ المؤلف بما اسدى الى البحث الادبي الرصين ، والانشاء البليغ الممتع ، حين قدم لنا هذا الكتاب الشيق المفيد .

محمد عيناني

* أرسل المؤلف هذا الرأي في صدد قضية معينة .

جولة الأديب في شهر

في دمشق عصبة للساخرين

بقلم فهدي قلعجي

لم يكن من الغرابة في شيء ان تتألف في دمشق عصبة تسمي نفسها « عصبة الساخرين » ، ولكن وجه الغرابة في هذه العصبة الساخرة ان تضم نخبة من اكبر ادباء الشباب في سورية وان تكون اقوى جمعية ادبية في القطر السوري كله . . فما هو العامل الذي دعا هؤلاء الادباء البارزين ان يتنادوا الى السخر بالمجتمع والناس ؟ وما هو السبب في ان سورية لم تنجب من الجمعيات الادبية منذ سنوات غير هذه الرابطة التي تحمل سياط النقد اللاذع ومعول الهدم والتدمير ؟! وهل ذلك دليل على انهيار القيم الفكرية والاجتماعية في عاصمة الامويين ام انه دليل على بعثها واقامتها على اساس جديد ؟!

لست اريد الآن الاجابة على هذا السؤال ، لاني لست بسبيل الحديث عن فلسفة السخرية ، وعما تقدمه هذه الفلسفة للناس ، وعن اثر « عصبة الساخرين » في الادب السوري ، اموجه هو ام مهدم ، ومحفز للسير الى الامام ام مثبط للعزائم دافع عن الاقدام ، الا اني استطيع القول بكلمة سريعة عابرة ان البلاد العربية عامة قد اتخمها الادب المتفجع المتشائم البكاء ، وانها احوج ما تكون الى الادب الضاحك المتفائل بالحياة .

وكذلك لن اتوقف عند عقائد اعضاء العصبة وميولهم السياسية ، فقد كفاني اعضاء العصبة انفسهم مؤونة ذلك ، حين جمعتهم فكرة السخرية وحدها دون النظر الى اي اعتبار آخر ، فجمعوا بين اكثر الالوان السياسية ، من القومية المتطرفة الى الشيوعية المتطرفة ، اذا كان في القومية والشيوعية تطرف واعتدال .

لقد اردت ان اعرف بادىء الامر كيف نشأت هذه الجمعية العجيبة ؟ . تحت اي طالع ولدت ؟ وفي مخيلة اي شيطان نبتت ؟ وكيف انتسب اليها اعضاؤها الكثيرون وكلهم كاتب ومفكر وأديب بارز ؟ . . وقد انتهيت الى ان الاستاذ سعيد الجزائري الاديب المعروف وسكرتير تحرير جريدة « النقاد » هو الذي كان عراب هذه « التقليعة » البارعة على لغة اخواننا المصريين ، وهي ليست اول تقاليعه الجريئة ولا آخرها على كل حال .

حرفة السخرية

ولعل خير ما يصور وضع هذه العصبة ونشأتها قول الاستاذ مواهب الكيالي جواباً على سؤال وجهته له ولزملائه :

« كنا عصبة من الشباب في ايدينا اقلام اردناها مشارط ، ونعيش في مجتمع ما زلنا نؤمن بانه مجتمع حي ولكنه لا يستغني عن المشرط وأنا شخصياً ، كنت وما ازال احمل مجتمعي ، بسخريتي ، الى طاولة العمليات كشيء حي ، ولم احمله قط الى طاولة التشريح كما لو كان جثة هامدة . . هذه هي العصبة ، كانت مؤلفة قبل ان يكون لها تسمية ، رغم اننا كنا نعرف بالساخرين قبل ان نصبح عصبة ! » .

وهكذا ترى ان هؤلاء الادباء الساخرين لم ينتسبوا الى العصبة بل ان العصبة هي التي انتسبت اليهم ، كما يقول الدكتور عبد السلام العجيلي ، وكان هذا الاسم الذي اطلقوه على انفسهم خير ما يدل على طبعهم الغالب ، وان كان بينهم افراد يعدون انفسهم من الساخرين بالرغم منهم ، لانهم حكموا بالانتساب اليها حكماً غيابياً لا يقبل الاعتراض والتمييز ! .

يبدو ان العصبة كانت مؤلفة من اعضاء كثيرين ، بين انسان ومشروع انسان ، اذا جاز هذا التعبير الذي استعيره من الاستاذ الجزائري ، ثم تغربلت فنفضت من بين افراد اسرتها « مشاريع الانسان » واصبحت مؤلفة من اثني عشر انساناً . . هذا اذا كان الاديب انساناً !

ان هؤلاء « الاثني عشر » قد اتخذوا السخرية « حرفة » لهم ، عدا عن انها طبعهم الغالب ، فباتوا يسخرون ، منفردين ومجتمعين ، بأقلامهم والسنتهم ، في مجلسهم الخاص وفي المجالس العامة ، من كل من يستحق السخرية في المجتمع ، بل وممن لا يستحقها احياناً ، وكثيراً ما يكونون هم انفسهم موضوع سخريتهم . ولعل سخريتهم حينذاك تبلغ قمتها .

واليك هذه اللمحات الخاطفة عن كل منهم ، وهي لمحات لا يمكن ان تسجل ، في هذا المجال الضيق ، الا القليل من مزاياهم وخصائصهم . راجياً ان تتاح لي فرصة اخرى للتحدث عنهم فرداً فرداً :

الدكتور عبد السلام العجيلي

يعرفه

قراء « الاديب » كاتباً قصصياً لامعاً ، فهو مؤلف « بنت الساحرة »، هذه المجموعة النفيسة من القصص الواقعية الحية التي تمتاز بروعة التفكير وعمق التحليل ، والتي اعطت الادب العربي لوناً جديداً من فن الرواية اعتقد بانه لم يعرفه من قبل . ولا ريب في ان حرفة الطب التي يمارسها كانت له مطلاّ يطلع منه على امراض المجتمع لا على امراض الافراد وحسب ، وكذلك حرفة السياسة التي زاولها وقتاً غير قصير ولا سيما حين كان نائباً في المجلس السوري السابق . ومن هنا كانت سخرية الدكتور العجيلي قاسية لاذعة لا تعرف الرفق واللين ، ولا تثير المرح والبهجة بقدر ما تثير الالم والرثاء ، فهو طبيب حتى في أدبه يعطي الدواء المر ولكن بقصد الشفاء ، وهو شاعر قوي الاحساس ولكنه لا يستمد وحيه من جمال الحياة وافراحها وحوافز الالهام فيها مثلما يستمده من تناقضات المجتمع ومفارقات الوجود التي تبعث على التأمل العميق ، تأملاً يتحطم معه الكثير من الاصنام والقيم والتقاليد

والدكتور العجيلي هو رئيس مجلس الوزراء في حكومة الساخرين ، لانه وان كان من اكثرهم سخرية ، فهو عند الضرورة من اكثرهم جداً . . بل لعل سخريته نفسها جد ما بعده جداً !

سعيد الجزائري

الاستاذ

سعيد الجزائري هو مؤسس هذه العصبة واعرق افرادها في السخرية ، وقد اسسها ليسخر فاذا به يجد . . واذا بالجادين يسخرون

انه سخرية حية ، متنقلة ، ضاحكة ، متفائلة . . وهو اعظم ما يكون سخرية وضحكاً وتفاؤلا في الايام العابسة والظروف العصيبة المدلهمة . . وقد عرف السخرية بانها الحقيقة الابدية ، ومواكب البشرية لا تفتأ في رأيه يسخر بعضها من بعض مذ كان هذا الوجود .

عرفته منذ عشر سنوات ، فما اذكر انه قد تغير وان كان قد تطور ، فهو الاديب اللبق ، والكاتب المرح ، والناقد الجريء الذي لا يسلم من نقده احد ، وهو الصديق الذي يخلص لصديقه الى ابعد حدود الاخلاص ، والعدو الذي لا يعرف في خصومته هوادة او ترفقاً .

ويقولون عن الاستاذ الجزائري انه قاس في نقده جارح في سخريته ، وهي صفة يجب ان تعد له لا ان تعد عليه ، لانها انما تنبع من الصراحة التي فطر عليها ، فهو امرؤ لا يطعن الناس في ظهورهم ولكن وجهاً لوجه !

وقد ساهم الاستاذ الجزائري في كثير من الصحف السورية ، فكانت مساهمته فيها مبعث تجديد ونشاط وحيوية لا تنضب ، وهو اليوم سكرتير تحرير مجلة « النقاد » الصحيفة الادبية الوحيدة في دمشق .

ويتولى الاستاذ سعيد وزارة الداخلية في حكومة الساخرين لمهارته في حفظ الامن بينهم ، ولنشاطه في ملاحقتهم وحملهم على اداء واجباتهم . . والحق انهم لولاه لما اعتصبوا ولما سخروا .

احمد عسة

يقولون

ان الاستاذ احمد عسة قد زج في زمرة الساخرين زجاً ، لانه يأبى ان يحلل ويدقق ويتعمق ، وقد سماه احدهم « النحات الاسود الجذاب » لان « من عادة النحاتين ان يكونوا مثالا في الصرامة ، ولان الناس تعارفوا على ان اللون الاسود مصدر الرعب ، ولان الجاذبية هي التي ترغمهم على احتماله »!

واصحاب هذا الرأي يثبتون انهم لا يفرقون بين السخرية والدعابة ، واذكر اني سألت كلا من اعضاء العصبة : « من هو ابرع زملائك في العصبة سخرية ، وما هي اجمل نادرة تذكرها له » فاجابوا على ذلك اجوبة مختلفة وروى اكثرهم نوادر زملائهم لا تزيد عن كونها نكات وفكاهات ، وكان الاستاذ احمد عسه اجرأهم على القول انه اكثر رفاقه سخرية ، كما كان الشخص الوحيد الذي فطن الى ما في هذا السؤال من مغالطة لجمعه بين السخرية والتندر ، ثم قال : ومن السخرية والتندر ان يتزلق احد المعتصبين بهوة الجواب على الشق الاخير من السؤال لئلا يسخر القراء من الساخرين الذين اعتصبوا ليسخروا من كل شيء !.

والاستاذ عسة كاتب مجيد ، وأديب موهوب مجدد ، ومثقف عالي الثقافة ، وانسان كريم الخلق ، ومثال حي للشباب الجد العامل وقد تولى ادارة محطة الاذاعة السورية فجعل منها نموذجاً لما ينبغي ان تكون عليه محطات الاذاعة العربية ، ولا يزال دائم التجديد والتحسين في انظمتها وبرامجها ، وليت محطة الاذاعة اللبنانية تقتبس من هذه الانظمة والبرامج ما يجعل منها محطة حية محترمة .

وقد اسند الى الاستاذ احمد عسة منصب وزير الخارجية في حكومة الساخرين ، وعهدنا بوزارة الخارجية انها لا تسند الا الى الرجل اللبق الانيق الواسع الاطلاع والمتقد الذكاء ، فاذا كان زملاء الاستاذ احمد قد قصدوا هذا في اختيارهم اياه لهذا المنصب فقد وفقوا واحسنوا الاختيار .

ممتاز الركابي

اديب موهوب، وكاتب منتج، وشاعر يتذوق الفن ويأسره الجمال، وقد ربح الجائزة الاولى في مباراة القصة التمثيلية التي اقامتها مجلة « النقاد » بمسرحيته القصيرة «الحاجة كالا» وهي مسرحية ممتازة تدل على خبرته بفن التمثيل، وقوة ملاحظته، وبراعته في الحوار، واستعداده لان يكون كاتباً مسرحياً من كتاب الطبقة الاولى .

والاستاذ الركابي عنيف في سخريته، يجد لذة عميقة في التهكم على نفسه وعلى غيره، ويعتقد بان السخرية في الحياة هي الموعظة المعربدة، وهي في الادب الثورة في كل معانيها . . وقد كتب مرة انه اذاب مخه وأتلف اعصابه وسهر ليلة كاملة ليكتب مقالا موزوناً وفي الصباح وجد قارئاً يلف حذاءه القذر بالجريدة التي نشرت المقال!

ويتولى الاستاذ ممتاز سكرتارية تحرير جريدة «بردى» وقد انتخبه زملاؤه وزيراً للشؤون الاجتماعية والفنون الجميلة في حكومتهم، لانه شاعر وممثل « ولان الله جميل يحب الجمال ! »

الاخوان مواهب وحسيب كيالي

أبرز ما في الاخوين مواهب وحسيب كيالي انهما يعتنقان فلسفة صحيحة لتطور الكون والمجتمع . .

ويمتاز الاول بالطيبة والمودة والتواضع والعاطفة الفياضة، اما الثاني فهو على نقيض اخيه . .

وقد ظل الاستاذ مواهب الكيالي وقتاً طويلا وهو في صراع مع الحياة حتى شق لنفسه الطريق التي يعتقد بانها الطريق القويمة . . واذكر اني عاتبته مرة لانه هاجم الفقيد عمر فاخوري في مقال له، فاعترف مخلصاً بانه كان على ضلال . . وفي الاستاذ مواهب، مواهب زاخرة حرية بأن تجعل منه اديباً ممتازاً من الادباء الواقعيين المجددين .

اما الاستاذ حسيب فقد اعتقد بانه تبوأ القمة، ولذلك فهو لا يتورع عن الحديث عن نفسه وكأنه غوركي او تشيكوف، مطلقاً الاحكام على كبار الادباء المنتجين دون تروٍ، وما عرفنا له حتى الآن انتاجاً حرياً بالاهتمام . . فان كان ذلك من ضروب السخرية ايضاً، فانها من سخريات الدهر لا من سخرية حسيب . .

والاخوان كيالي موظفان في الدولة، وقد اسند الساخرون الى الاستاذ مواهب وزارة الصحة لانه لا ينفك متوعك المزاج . . واسندوا الى الاستاذ حسيب وزارة الاقتصاد لانه اغنى اعضاء العصبة واشدهم بخلا . .

عباس الحامض

كنت قد قرأت للاستاذ عباس الحامض مقالات سياسية تركت في نفسي صورة قاتمة له، ثم دهشت حين تعرفت به فوجدته من اخف الناس ظلاً ومن اكثرهم مرحاً ومن اظرفهم مجلساً واجملهم دعابة .

والاستاذ عباس يتمتع بجميع المواهب والمزايا الخليقة بأن تجعل منه اديباً لامعاً، ولكن ظروف الحياة قضت عليه باحتراف العمل الصحفي، ولهذا فهو لا يعطي الادب غير القليل من وقته ويعطي الصحافة وقته كله، وليته يفعل العكس .

ويرى الاستاذ عباس الحامض ان اثر السخرية بليغ في الحياة، وان الساخرين قد استطاعوا اصلاح المعوج ومقاومة الطغاة في كل امة وعصر، ويضرب على ذلك مثل الساخرين في سورية وعددهم

اثنا عشر وقد وقفوا يهزأون بالطغيان والارهاب في عهد حسني الزعيم بينما الساسة والكتاب ساروا في موكبه خشية وخوفاً .

وهو بارع في السخرية التحريرية والسخرية الشفهية على السواء ، وقد كتب مرة عن احد الوزراء من اصحاب « الكروش » البارزة ان بوليس المرور اوقف السير ريثما اتاح لموكب « كرشه » الانتقال من رصيف الى رصيف !

ويتولى الاستاذ الحامض رئاسة تحرير جريدة « القبس » اما زملاؤه فقد عهدوا اليه في حكومتهم بوزارة المالية لانه يقول للاستاذ حسيب الكيالي « مرحبا قرداش ».

عبد الرحمن ابو قوس

ادب مجدد ، وشاعر رقيق ، وصحفي ممتاز ، عرفته منذ بضعة عشر عاماً وانتظرت له مستقبلاً لامعاً في عالم الادب والصحافة ، ولكن ظروف العيش في مدينة حلب ، بنطاقها الضيق وجوها المحافظ ، لم تسمح له حتى الآن ببلوغ كل ما هو اهل له . .

لقد ساهم في تحرير كثير من الصحف ، وانشأ اكثر من صحيفة ، واصدر عدة كتب ادبية ومجموعات شعرية ، وهو اليوم رئيس تحرير جريدة « برق الشمال » بحلب ، ولكن المستقبل اكثر رحابة امام هذا الشاب الموهوب . .

يؤخذ على الاستاذ عبد الرحمن انه ثوري اكثر مما ينبغي له ، فليته يهادن المجتمع الذي يعاديه ويتجه بنقمته على الانظمة الرجعية والطغمة الاقطاعية فهي وحدها عدوة الفكر والحرية والشباب . .
وليت السخرية على لسانه وسن قلمه ، تكون حقاً كما وصفها اداة للتهديم والبناء ، لا اداة تهديم وحسب . .

وقد كان الاستاذ ابو قوس ابرع من صور لي زملاءه فقال : « زملائي في العصبة يتميزون بالنسبة لكمية الانتاج الساخر ، ولنوع الانتاج ! فبينهم ساخرون ناطقون ، وساخرون محررون ، وساخرون يحسنون خلق جو السخرية ولا يحسنون السخرية نفسها . وابرع الزملاء سخرية الاستاذ عباس الحامض اذا تكلم ، وابرعهم الاستاذ ممتاز الركابي اذا كتب ، وابرعهم الاستاذ سعيد الجزائري اذا جابه وزيراً اوزعيماً . . وابرعهم انا اذا لم اكتب في السخرية ! »

ويشغل الاستاذ ابو قوس في حكومة الساخرين وزارة الاشغال العامة ، وذلك لانه حلبي وحسب ، اذ جرى العرف منذ وقت طويل بان تسند هذه الوزارة لاحد الحلبيين الذين يطالبون بجر مياه الفرات الى مدينتهم ، فكان الوزراء الحلبيون يتعاقبون على هذه الوزارة دون ان يتحقق مطلب المدينة العطشى . واتفق ان التقى الاستاذ سعيد الجزائري يوماً بمعالي احمد بك الرفاعي وزير الاشغال العامة في احدى الوزارات السابقة فقال له : « لماذا لا تستقيل وقد استقال زميلك ؟ » فأجاب : « انا لا استقيل حتى اجلب الفرات لحلب ! » فقال له الاستاذ سعيد : « ارى انك اذا امتدت حياتك في هذه الوزارة فستعطش دمشق وتجف انهرها السبعة ! »

سعيد القضماني

بيان مشرق واسلوب انيق واطلاع متواصل ، مع خلق كريم وقلب نبيل ونفس وديعة كالجدول الصافي الرقراق .
ذلك هو الاستاذ سعيد القضماني سكرتير تحرير مجلة « المعلم العربي » واحد الادباء المجددين في دمشق .

انه احد الساخرين بالرغم منهم ، ولكنه ساخر شفهي على الاقل . . وهو يفهم السخرية على انها الكشف عن مواطن الضعف في الانسان ، في حسن اداء وبراعة تصوير ، ويعتقد بان الاديب الساخر هو الذي يستطيع تصوير المفارقات الداعية الى السخرية ، مما يحتاج الى سرعة خاطر ، وفطنة مرهفة ، وسبر لاغوار النفس البشرية ، مع قدرة فائقة على استخدام الالفاظ . .

وقد انتج الاستاذ القضماني الكثير من الفصول الادبية والدراسات القيمة ، كما ترجم الى العربية بعض الروائع من ادب الغرب .

وهو يتولى في حكومة الساخرين وزارة المعارف لانه ربيب هذه الوزارة ومن اقدم المعلمين .

عبد الغني العطري

ادب معروف وكاتب بحاثة ، كان لمجلة « الصباح » التي اصدرها في اوائل الحرب العالمية الثانية اثر لا ينكر في بعث الحركة الادبية في سورية .

وهو يصدر اليوم مجلة « الدنيا » ذات الانتشار الواسع بدمشق ، الا ان انتشارها لا يعود الى جودة موادها بقدر ما يعود الى ناحية الغرابة في هذه المواد .

ويقولون ان الاستاذ العطري لا يمكن ان يكون ساخراً ، مع انه يعد نفسه من مؤسسي العصبة . . واذا صح ان صاحب « الدنيا » لا يجيد السخرية الادبية ، فهو يجيد السخرية العملية على الاقل ، ويسخر من قرائه باستمرار بما يقدم لهم من الغرائب التي تثير فضولهم وتزيد في انتشار صحيفته

وقد سألته : « كيف تفهم السخرية ، وما هو اثرها في الادب والحياة ؟ » فأجاب : « السخرية اجمل واروع فنون الادب ، اما اثرها في الادب والحياة فلن اتحدث عنه بل ادعو لكل اديب ان

يهبه الله ملكة السخرية ! ».

والاستاذ عبد الغني العطري وزير الزراعة في حكومة الساخرين ، لانه يملك مسكبة امام منزله تزرع ببعض البقول !

احمد علوش

أديب يتجلى الاخلاص والصدق في ادبه مثلما يتجليان في حياته .. فهو انسان طيب وقلب متواضع ، وهو كاتب طيّع القلم يجول في كل موضوع بثقة في النفس ولا يشوبها الزهو والاعتداد.

ويرى الاستاذ علوش ان من يعرف قيمة الحياة ويفكر في الامور من الناحية الواقعية لا بد له من ان يسخر من حياتنا، ولهذا فهو ينتهي الى الاعتقاد بان السخرية هي فن بعث الحياة .

ومن مقالاته الساخرة مقالة جمع فيها اقوال سياسي سوري مثل دوراً كبيراً في تاريخ سورية الحديث ، في معركة الاسكندرونة ومعركة فلسطين ، فقد كان يقول عن الاولى – في تصريحات متسلسلة – انها ستبقى سورية الى الابد . وكان يقول عن الثانية ستبقى عربية الى الابد ، وانه سيلجأ الى المقاتلة في البر والبحر والجو .. وكان ان ذهبت الاولى ولحقت بها الثانية ، ولا ندري ان كانت هنالك ثالثة !

وقد اسندت الى الاستاذ احمد علوش وزارة الدفاع الوطني في حكومة الساخرين، لانه مخيف في غضبه بقدر ما هو وديع في رضاه.

نسيب الاختيار

اديب كبير وقلب كبير ، كتب في فنون الادب كلها فكان موفقاً فيها جميعاً، ولا سيما في الدراسة والقصة. في نثره الفني الجميل دفق الشاعر وعمق المفكر، وفي اقاصيصه الوان من الواقع العربي تنبض حرارة ، وتزخر حياة ، وتسطع طيباً وعطراً .

قرأته منذ بضعة عشر عاماً فغدوت من قرائه الدائمين، لما اجد في ادبه من صدق وقوة وفائدة ومتعة .

والاستاذ الاختيار في صراع دائم مع الحياة ، وفي رأيه ان هذه الحياة مهزلة نحن واضعوها ونحن ممثلوها ونحن النظارة فيها . وهو يميل الى السخرية ذات الطابع الانساني الاصيل .

ويشغل الاختيار هذه الايام وظيفة مدير النشر في الاذاعة السورية ، اما رفاقه في العصبة فقد عهدوا اليه في حكومتهم بوزارة العدل لان وزير العدل عادة لا صلاحيات له ولا تبعات تقع على عاتقه ولكنه يتمتع باحترام الجميع لانه خير من يقضي بينهم بالعدل .

الساخرون لا يتحزبون

ومنذ حين راودت اعضاء العصبة فكرة خطيرة وهي ان تتحول عصبتهم الى حزب سياسي، وكانوا على يقين بان هذا الحزب سيكون اكبر حزب في البلاد فتنتقل اسماء السوريين كلهم الى سجلاته لان الشعب باجمعه انما هو حزب الساخرين، وتنتسب الاحزاب كلها اليه لان سخرية هذه الاحزاب بالاماني الوطنية قد جعلتها استاذة في فن السخرية .

ولكن الدكتور العجيلي عارض هذه الفكرة بشدة لانه رأى في هذا الانقلاب يطرأ على العصبة ، تدنياً ونزولا عن مستواها الى مستوى بعض الاحزاب ، فتتحول من جماعة تضحك على كل الناس الى جماعة يضحك منها كل الناس .

وقد وافق زملاء العجيلي اخيراً على رأيه ، وان كان الاستاذ عباس الحامض قد اعترض على ذلك بقوله ان جعل العصبة حزباً ينسجم كل الانسجام مع طبيعة الاشياء ، ومع الجو الذي تحيا سورية فيه، والافق الذي يسرح السوريون طرفهم في نواحيه المترامية فيرتد كليلا عن منظر جدي، عاجزاً عن رؤية عمل صادق ، بينما تشدهه في كل لحظة رواية لابي الكشاكش وقصة لبشارة واكيم ومونولوج وتهريج من شكوكو وامثال شكوكو من السياسيين المحترفين !.

حقاً ان الكاتب يستطيع ان يقول في بضعة سطور ساخرة ما لا يستطيع ان يقوله في عدة مقالات واعظة . ولكن اذا جاز للادباء السوريين ان يقولوا مثل هذا عن حياتهم السياسية والحزبية، فماذا يقول الادباء اللبنانيون ؟!

قدري قلعجي

أنباء العالم في شهر

٢٧ سبتمبر ١٩٥٠ - اعلنت القيادة الاميركية في كوريا ان القوى النازلة من سوان التقت بالقوى الاميركية الآتية من سانغجو وبذلك تم قطع جميع القوى الشمالية الموجودة جنوب خط العرض ٣٨.

٢٨ - يتابع الاميركيون زحفهم في كوريا من ساوول في اتجاه خط العرض ٣٨ كما استولت قواتهم على مدينة نايجون.

٢٩ - بلغت قوات كوريا الجنوبية في تقدمها خط العرض ٣٨ ووقفوا عنده لاعادة تنظيم قوام.

٣٠ - اعلن البانديت نهرو رئيس الوزارة الهندية ان الهند ترى ان قوات الامم المتحدة يجب ان تقف عند خط العرض الـ ٣٨ في كوريا فلا تتخطاه الا بعد ان تفشل جميع الوسائل التي تستخدم لتسوية الحرب الكورية. وقال ان هدفنا يجب ان يكون ايجاد دولة كورية حرة متحدة ذات حكومة مؤلفة وفق رغبات الشعب

اول اكتوبر ١٩٥٠ - وجه الجنرال ماك ارثر نداء الى الكوريين الشماليين طلب منهم ان يبادروا الى الاستسلام ويكفوا عن القتال والا اجتازت قوات الحلفاء خط العرض ٣٨.

٢ - توغلت قوات كوريا الجنوبية ٥٠ كيلومترا في الشمال واحتلت مدينة يانغ يانغ.

٤ - اعلنت نظارة الخارجية الاميركية ان تركيا قبلت الاشتراك في الحلف الاطلسي في منطقة البحر المتوسط وهي بذلك تقبل المساهمة مع البلدان الموقعة على الحلف ولكنها لا تصبح عضواً فيه.

- توغلت قوات كوريا الجنوبية ١٢٠ كيلو متراً في شمال خط العرض واقتربت من مدينة ونسان

٥ - اعلن فتريتوس رئيس الوزارة اليونانية انه قبل دعوة اشتراك اليونان بخطط الدفاع عن منطقة البحر الابيض المتوسط التي تضمها دول الحلف الاطلسي. كما تستمر المحادثات بين رئيسي اركان حرب الجيشين التركي واليوناني لعقد ميثاق دفاعي اقليمي عن شرقي البحر المتوسط.

٦ - اضرب عشرون الف من العمال بالمنطقة الالمانية الغربية فتعطلت حركات النقل.

٧ - اجازت الجمعية العمومية لهيئة الامم بـ ٤٦ صوتاً ضد خمسة وامتناع سبعة لقوات الامم المتحدة باحتلال عموم كوريا موقتاً.

٨ - شرعت القوات الاميركية تغزو كوريا الشمالية ووجهتها العاصمة بيونغ يانغ التي تبعد عنها ١٣٠ كيلومترا.

٩ - دخلت قوات كوريا الجنوبية مدينة ونسان وتقدمت القوات الاميركية خمسة كيلومترات عن خط العرض.

١٠ - قدمت روسيا مذكرة احتجاج الى الولايات المتحدة على ضرب الطائرات الاميركية مطاراً روسياً في سيبيريا شمالي كوريا.

١١ - اذاعت الحكومة الصينية للمرة الثانية تحذيراً بانها لن تقف مكتوفة الايدي امام العدوان الاميركي على كوريا الشمالية.

- اذاع رئيس حكومة كوريا الشمالية نداء الى القوات المسلحة بالمقاومة حتى الموت.

١٢ - سافر الرئيس ترومان من واشنطن على طائرته الخاصة لمقابلة الجنرال ماك ارثر.

- تقدمت قوات الامم المتحدة مسافات كبيرة في كوريا الشمالية واحتلت ثلاث مدن والمقاومة الشمالية ضارية.

١٣ - بدأت المفاوضات الفرنسية الاميركية لتسليح فرنسا.

١٤ - اجتمع الرئيس ترومان بالجنرال ماك ارثر في جزيرة «ويك» وعلم بان الحديث يتناول محاربة الشيوعية في آسيا واقامة الملاقات مع الصين.

١٦ - تستمر قوات الامم المتحدة في تقدمها نحو عاصمة كوريا الشمالية بيونغ يانغ وهي الآن على مسافة ٥٠ كيلومترا منها.

- حصل بالقرب من روما اصطدام بين الشيوعيين والعمال المسيحيين.

- اذيع من تركيا ان الروس يحشدون عدة فرق بالقرب من الحدود التركية والايرانية

١٨ - دخلت قوات كوريا الجنوبية مدينة بيونغ يانغ ووصلت اليها سائر قوات الامم المتحدة من ثلاث جهات. واخذ المدنيون يلجأون بجموع غفيرة الى الصين.

- القى الرئيس ترومان خطاباً خطيرا انذر فيه الاتحاد السوفياتي بمقابلة القوة بالقوة والسلم بالسلم وقال علينا ان نزيد انتاجنا العسكري وعدد قواتنا المسلحة وان نخصص القسم الاكبر من مواردنا للاغراض العسكرية والقسم الاصغر لمواد الاستهلاك.

١٩ - اعربت حكومة الولايات المتحدة عن اسفها لحادث ضرب المطار الروسي الواقع في داخل الاراضي الروسية واعلنت عن استعدادها للتعويض.

٢٠ - انزل الاميركيون جيشاً من الجو قرب حدود منشوريا لعزل الشماليين.

٢١ - تتقدم قوات الامم المتحدة على جميع الجبهات في كوريا ويدافع الشماليون دفاعاً مستميتاً

٢٢ - اعلن اتشيسون ناظر الخارجية الاميركية ان الولايات المتحدة مستعدة دائماً لاجراء مباحثات مع الاتحاد السوفياتي حول القضايا ذات المصلحة المشتركة.

- تم الاتصال بين قوات كوريا الجنوبية الزاحفة شمالي بيونغ يانغ والقوات الاميركية التي انزلت بالمظلات.

٢٣ - خطب تشرشل فقال ان قضية السلم تقضي ببناء جبهة موحدة وناشد فرنسا الا تحول دون نهوض وتسليح المانيا اذ لا توجد وسيلة لانشاء قوة دفاعية غربية بدون تعاون المانيا.